دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلثَّالِثَ عَشَر)

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مِنَ الآيَةِ ﴿٣٣﴾ إِلَى الآيَةِ ﴿٩١﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ ٱلدِّين ٱلحُوثِي

بِتَارِيخ: ١٣ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٢٠٠٣/١١/٧ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

من البداية سمعنا بالأمس الآيات السابقة من قول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(آل عمران:٢٦) إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(آل عمران:٣١-٣٤).

تقرر هذه الآيات كلها وكثير من أمثالها في القرآن الكريم مما قد سبق، وبقية السور، أي: هي تؤكد وتقرر قضية: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي له الحكم والأمر في عباده، هو الذي خلق الخلق، هو الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو على كل شيء قدير، فهو يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، فتنتهي القضية بالنسبة للناس إلى التسليم المطلق لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ تدَّعون أنكم تحبون الله ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ هذا مؤشر وعلامة للتسليم لله سبحانه وتعالى، وليس كل واحد من عنده من هنا ومن هنا ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ الله قد جعل علامة التسليم له ومصداقية حبه أن يتبعوا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

ثم قال بعدها: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ اتباع طاعة قد يكون الاتباع فيه نوع من الشعور بالقسرية بالكراهية بنوع من الثقل على النفس، لكن يجب أن يكون على هذا النحو: الاتباع لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) اتباع طاعة ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ هذا الرسول وإن لم يكن منكم، وإن لم يكن من بني إسرائيل، الله هو الذي له الحُكم والأمر في عباده، يجب أن تسلموا له والقضية لم تخرج عن السُّنة الإلهية في موضوع الاصطفاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ...﴾ إلى آخر الآية، ومحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو من آل إبراهيم اصطفاء ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ فهذا الرسول الذي أمرتم بطاعته والذي جُعِلت طاعته علامة لمحبتكم إن كنتم صادقين في دعواكم الحب لله هو نفسه اصطُفي واختير؛ لأن هذه هي سُنة إلهية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فهو اصطفى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ليكون رسولاً للعالمين.

هنا لاحِظوا مسألة الاصطفاء كيف يأتي بالشكل الذي نحاول دائماً أن نتحدث به لنفهمه جميعاً، قضية (الدوائر) اصطفى آدم ونوحاً، اصطفى آل إبراهيم وآل عمران، أليس آل عمران من آل إبراهيم؟ داخل آل عمران أسرة عيسى، وسيأتي الحديث بالنسبة لمريم بنت عمران ونذر والدتها، اصطفى آل إبراهيم كدائرة يصطفي من داخلهم أنبياء، ويصطفي من داخلهم ورثة للكتاب لمن يصطفيه على هذا النحو دور، وللدائرة هذه دور هام جداً، ودور هذا ودور هذا كله يتوقف على مدى التمسك بالكتاب، ويأتي التأكيد للكل أن يتمسكوا بالكتاب.

اصطفاهم لحمل مسؤولية، إقامة دين الله، أن يكونوا هم من يحرصون على أن يجسدوا قيم الدِّين ويمثلوه في سلوكياتهم في واقعهم في مجتمعهم حتى تظهر قيمة هذا الدِّين أمام الآخرين لينجذبوا إليه وتظهر عظمته في نفس الوقت كشهادة على أنه على أرقى مستوى، وأن البشر لا يستطيعون على الإطلاق مهما حاولوا أن يقننوا لأنفسهم أو يضعوا مناهج ثقافية لأنفسهم لا يستطيعون أبداً أن يرتقوا إلى جزء مما يمكن أن يتحقق على طريق الالتزام بهدى الله سبحانه وتعالى.

وكما نؤكد دائماً بأن مسألة الاصطفاء هكذا، التفضيل هي كلها مسؤوليات، ومن اصطُفي سواءً اصطفاءً شخصياً أو اصطفاءً على مستوى دائرة مُعيَّنة تجد الخطاب لهم دائماً أن يتمسكوا بالكتاب، يقول لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيكَ﴾(الزخرف:٤٣) ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(هود:١١٢) ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(الشورى:١٥) ويقول للكل: ﴿خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ﴾(البقرة:٦٣).

تجد هنا على الرغم مما ذكِر داخل بني إسرائيل الصفحات السوداء القاتمة فعلاً في تاريخهم تجد كان هناك – سواءً على مستوى أفراد أو أسر أحياناً قد يكونون قليلاً وأحياناً قد يكونون كثيراً – نماذج عالية، في قصة طالوت وجدنا نماذج عالية: تلك المجاميع التي بقيت معه، الذين يقول المفسرون: بأنهم ربما لا يتجاوزون ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر شخصاً كانوا نماذج عالية من داخل بني إسرائيل، آل عمران أسرة متميزة داخل بني إسرائيل، داخل آل إبراهيم.

هذه لها قيمتها بالنسبة للناحية العقائدية من ناحية الأمل بأن تلك الدائرة التي اصطفيت كما قال هنا: (آل إبراهيم) مهما وجدت داخلها من أشياء لن تعدم داخلها من يكونون هداة كما قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: (أهل بيتي فيهم المصيب، وفيهم المخطئ، غير أنه لا يكونُ هداةُ الأمةِ إلاّ مِنهم) وهذا يعزز الثقة بالله سبحانه وتعالى، ويزيح من ذهنية أيِّ شخص مسألة التصنيفات عندما يقول: (لاحِظ كيف فيهم وفيهم وفيهم، كيف يمكن يأمرنا باتباعهم) أو أشياء من هذه، أليس البعض يقولون هكذا: (فيهم وفيهم وفيهم، كيف نتبعهم وهم كذا وكذا؟!) هو قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾(فاطر:٣٢).

ألسنا نجد هنا في داخل بني إسرائيل شخصيات عالية، على مستوى هداة، وأتباع على درجة عالية من الالتزام والمعرفة والحكمة والرؤية؟ لأن ما عرض علينا في قصة طالوت وجنوده تجد فئة متميزة بقوة إيمانها تجد عندها أيضاً رؤية صحيحة، فهماً صحيحاً، هذه تعطي الإنسان أملاً بأنه مهما كانت، مهما وصلت الحالة فلا يزال ذلك الاصطفاء الإلهي قائماً، وكما قال الإمام زيد: (غير أنه لا يكون هداة الأمة إلاّ منهم).

لهذا أُمِرَ الناس فيما يتعلق بأهل البيت بمودتهم فيما تعنيه المودة، تعني نوعاً من الميل إلى جانبهم على أساس أن لديك ميلاً إلى هذه الدائرة وأنت في نفس الوقت تعرف كيف سُنة الله داخل هذه الدائرة، وكيف تتعامل مع هذه الدائرة: مع دائرة أهل البيت، وهي نفسها القضية التي كان عليها بنو إسرائيل، أي: عندما يأتي في هذه الآية بكلمة ﴿اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وكل ما تقدَّم من أشياء، تلك الصور القاتمة جداً أليست من داخل أناس من آل إبراهيم؟ لا يزال الاصطفاء قائماً في تلك المرحلة التاريخية الطويلة ولم يكن – مثلاً – ما هناك من صفحات سوداء بالشكل الذي يقفل الباب أمام أن يكون من داخلهم هداة، وأن يكون داخلهم أسر متميزة وأتباع متميزون وشخصيات متميزة.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾(آل عمران:٣٥) أليست هذه امرأة متميزة؟ أي: عندها حب لله، إخلاص لله، عبودية، تُعتبَر مثلاً في التسليم لله سبحانه وتعالى، فهي تريد عندما تنذر لله بما في بطنها ليكون ماذا؟ – ما في بطنها أيُّ مولود هي كانت تعتقد أنه يمكن أن يكون رجلاً – أن يكون منقطعاً للعبادة ويختص بخدمة بيت المقدس – كما يقول المفسرون – أي: لخدمة محل عبادتهم، لا أدري هل كان الهيكل أو بيت المقدس بشكل عام، المهم أنها نذرت نذراً أن يتفرَّغ هذا المولود لخدمة بيت الله ويتفرَّغ للعبادة لله.

عندما يفرح الكثير من الناس إذا وجد زوجته حاملاً عسى أن يكون ولداً لينفعه، أو الأم تفرح أن تكون بنتاً تنفعها في أعمال المطبخ وفي تنظيف البيت ورعاية البقر وأشياء من هذه، هذه الامرأة نذرت أن هذا المولود سيكون مختصاً بالعبادة لله لا تكلفه بأيِّ شيء، لا تأمل من ورائه أيَّ شيء، أي: أن يقوم بأعمال مُعيَّنة لها، خدمة مُعيَّنة لها نهائياً، هذه تُعتبَر نموذجاً للناس وللنساء بشكل خاص، عندما يكون الناس في مرحلة جهاد في سبيل الله وتجد كثيراً من النساء يكون لديها كثير من الأولاد، أليس المفروض أن يكون عندها هذا التوجه: في سبيل الله؟ بأن تجعل منهم ثلاثة أو تجعل منهم أربعة في سبيل الله، يظلون يتحركون في سبيل الله، فليُسجنوا وليُقتلوا وليحصل ما حصل.

هذه امرأة من داخل بني إسرائيل ونحن قلنا أكثر من مرة: بأنه يجب أن نستحي نحن من كانوا من أهل البيت أو من كانوا عرباً أو من كانوا مسلمين بشكل عام يجب أن نستحي بألاّ يكون بنو إسرائيل متفوقين علينا دائماً في كل شيء، في مظاهر الصبر في مظاهر عبادية كانوا متفوقين، ثم في مظاهر الظلم والاضطهاد لنا أيضاً متفوقين، عندما يكونون هم قد أخذوا دور آل فرعون، فيجب أن يكون لدينا ذلك الدور المتميز الذي كان داخلهم يتمثل في أفراد وفي أسر مُعيَّنة.

في مصر وُوجِهوا باضطهاد شديد تقتيل للأبناء (ذبح لأبنائهم) وصبروا؛ فكانت العاقبة لصالحهم، وكانت النتيجة لصالحهم ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَونُ وَقَومُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ وقبلها: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَومَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾(الأعراف:١٣٧) بما صبروا، صبروا على اضطهاد شديد؛ ولأنه دائماً في الصبر في سبيل الله يكون الحكم الإلهي لصالح الصابرين من أجله وفي سبيله؛ ولهذا قال الله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:١٥٥).

على المستوى الفردي هذه المرأة نفسها نذرت ما في بطنها لله، وربما كان عندها احتمال بأنه ذكر، كان المولود أنثى أيضاً فليكن، وفت بنذرها، وفت بنفس النذر، مع أنك تجد أن المرأة قد تكون باعتبار دور الأنثى بالنسبة للأنثى يكون هاماً، يكون هناك أشياء تحتاج المرأة إلى ابنتها أن تعينها فيها قد لا يقوم بها الابن، أشياء كثيرة، ومع هذا وفت بالنذر.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾(آل عمران:٣٦) أي: هذا في قولها هي: إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى ﴿وَإِنِّي سَمَّيتُهَا مَرْيَمَ﴾ أي: العابدة؛ لأن معنى مريم: العابدة المنقطعة للعبادة ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾(آل عمران:٣٦) لئلا يكون له مدخل عليها، لتكون خالصة تماماً لعبادتك، لأن تعبدك لا يحصل أيُّ مدخل للشيطان عليها على الإطلاق.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾(آل عمران:٣٧) تقبَّلها الله وعندما تقبَّلها رعاها - لأن أباها عمران كان قد توفي - كفَّلها زكريا، ويقولون: إن زكريا هو زوج خالتها، زكريا والد يحيى بن زكريا ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ ليس من داخل أسرته، رزق يأتيها من عند الله كما قال عنها عندما سُئلت: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ هذه حالة نادرة، أليست تُعتبَر حالة نادرة؟

زكريا أعجب بمولود من هذا النوع فطمع هو في ذرية طيبة ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(آل عمران:٣٨) لاحِظ كيف هذه الحالة؟ حرص عند امرأة عمران وحرص عند زكريا فيما يتعلق بالذرية الطيبة؛ لأنها نعمة كبيرة، أولاً هي الشيء الذي يجب أن تكون عليه إذا كنت محباً لله فأنت تحب أن يكون هناك من يعبد الله وتحب أن يكون منك من يعبد الله، لا يوجد (تحديد نسل) نهائياً، القضية الصحيحة هي: أن يكون هَمُّ الإنسان ذرية طيبة فليكونوا عشرين أو ثلاثين كم ما كانوا.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قالوا إنه بمعنى ماذا؟ أنه مصدق بعيسى ﴿بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ معناه عيسى، ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(آل عمران:٣٩) إذاً استجاب الله دعاءه بأن يعطيه ذرية طيبة.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(آل عمران:٤٠) قد صار كبيراً في السن قد يكون عمره تقريباً تسعين وزوجته كذلك كبيرة في السن وفي نفس الوقت امرأة عاقر، أي: عقيم لا تلد، لم تلد وهي في شبابها فما بالك عندما تصير كبيرة في السن ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لاحِظ هذه القضية: مجمل الموضوع فيه مظهر من مظاهر اصطفاء الله، أن الله هو الذي يصطفي، وعندما يصطفي لا يصطفي على أساس اعتبارات مُعيَّنة من عند البشر يملونها عليه سبحانه وتعالى، بل هو يصطفي.

داخل بني إسرائيل وهو يريد أن يكون هناك نبي من بني إسرائيل وهو (عيسى) يأتي اصطفاء لوالدته أولاً، ألم يصطفِ مريم؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(آل عمران:٤٢) ولأن عيسى عليه السلام سيأتي في وجوده، في ولادته قضية خارقة للعادة، الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده لا يأتي بشيء يكون مفاجئاً لهم تماماً بحيث يكون مما قد يسهم في ماذا؟ في نفورهم، تأتي أشياء كلها قائمة من الأشياء المخالفة للعادة، أولاً: نفس الرزق الذي كان يأتي لمريم أليس مخالفاً للعادة؟ كان يأتيها - كما يقال - يأتيها طعام (فواكه) في غير وقتها.

لاحِظ كيف المسيرة زكريا نفسه يأتي له ولد بشكل غير طبيعي، أي: أن الشيء الطبيعي في مسيرة الحياة أن الذين بلغوا هذا السن لا يأتي لهم أولاد، امرأة عقيمة وعجوز وهو أيضاً قد صار (شيبة) فيأتي لهم ولد، فلم تأتِ قضية ولادة عيسى بالشكل الذي هو غير طبيعي، أي: من غير أب إلاّ وقد صار هناك تمهيد في الذهنية، تمهيد في الساحة بما سبق من ماذا؟ من أشياء هي خارقة للعادة بدءاً من رزق مريم ثم ولادة يحيى بن زكريا، حتى نفس الآية هذه: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾(آل عمران:٤١) قالوا كان لا يستطيع أن يتكلم إلاّ بذكر الله فقط! أليست هذه الآية حتى خارقة للعادة؟ خارقة للعادة نفس الآية التي أعطيت لزكريا كآية بأنه قد استجيبت دعوته والمولود هو في الطريق للخروج إلى النور، ألاّ يستطيع أن يتكلم مع الناس أبداً إلاّ إشارات لكن يستطيع أن يذكر الله فقط، أليست هذه أيضاً ظاهرة خارقة للعادة؟

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(آل عمران:٤٢) هذا مظهر

من مظاهر أن الحكم لله، أن الاختيار لله، أن الاصطفاء قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى، وكم هناك في بني إسرائيل من نساء وكم هناك من رجال وكم هناك من علماء في الكنائس والمعابد وكم هناك من كبارات (طحاطيح) كانوا موجودين، لكن لن يكون أحد منهم أباً لعيسى فضلاً عن أن يكون هو نبياً، أليست هذه قضية؟ فإذا هم يجدون بأنه لماذا اصطُفي رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نقول: هكذا تم الاصطفاء داخلكم على هذا النحو، ألم يتم الاصطفاء داخلهم على هذا النحو؟

نفس موضوع الاصطفاء، أي: أنك تلمس أسرة متميزة، نفس الأسرة متميزة (آل عمران) هذه الأسرة التي من ذرية آل إبراهيم التي منها مريم بنت عمران، نفس تلك الأسرة متميزة، أي: الأجواء داخلها صالحة للاصطفاء الفردي لتكون مريم أمًّا لنبي اصطفاه الله سبحانه وتعالى؛ لأن الاصطفاء لا يكون قضية مجهولة بالنسبة للمصطفين؛ لذلك نحن نستبعد دائماً أن يكون الوحي نزل إلى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بتلك الصورة المفاجئة – مثلما يقولون – لا تكون القضية مجهولة أبداً.

لاحِظ موسى بن عمران (عليه السلام) ألم تُشْعَر أمه؟ ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(القصص:٧) هل موسى (عليه السلام) مثلاً لم يكن يعرف بمهمته، لا يعرف بأنه قد يكون منوطاً به دور هام جداً إلى أن تفاجئه النبوة في ذلك المكان؟! ذلك بداية القيام بالمهمة، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كذلك من قبل ولادته؛ لأن مسألة الاصطفاء تكون قضية يكون هناك تمهيد لها واسع وكبير، لا تأتي هكذا مفاجَأة أن يظهر نبي ولا يكون هناك تمهيد، يكون هناك حتى على مستوى وضعية محيطه بكله، وضعية الأسرة نفسها هنا يقول: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أليسوا يُشعِرونها بهذا؟ ﴿وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ اخضعي ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(آل عمران:٤٣) لاحِظ هنا في دورها دور عجيب كأنها لم توجَّه بأن تبقى في بيتها، بل تخرج وتبدو في نفس الوقت امرأة متميزة معروفة في المجتمع، تركع مع الراكعين: تشترك مع الناس في الصلاة؛ لأن القضية هامة جداً تكون معروفة بتميزها، معروفة بطهارتها، معروفة بمؤهلاتها كاملة، أن يأتي عيسى من امرأة معروفة في المجتمع.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران:٤٤) وهم يتنافسون على من يكفلها: على من يقوم بها.

نلحظ أيضاً في هذه القضية في مجمل هذه القصَّة زكريا ويحيى بن زكريا ومريم وعيسى: أن الاصطفاء قد يكون أحياناً اصطفاءً لأدوار مُعيَّنة، يحيى بن زكريا نفسه نبي ومصطفى اصطفاه الله، له مهمة مُعيَّنة، له دور مُعيَّن، أي: تنتهي المسألة بأنه يجب على الناس أن يكونوا مسلِّمين لأمر الله هذه قضية، لا يضعون شروطاً أمام الله، حدوداً لتدبير الله، مثلما حصل من بعد في ثقافتنا! أي: تجد هنا يحيى بن زكريا وتجد مريم وتجد زكريا وعيسى أسرتين متقاربتين وفي نفس الوقت هناك نبي، ومصدق بنبي، سيأتي هذا النبي له دور، وهذا النبي له دور أوسع.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(آل عمران:٤٥) بالنسبة لمريم أن تُشْعَر بأنها مصطفاة ومطهرة هذه قضية أن ترى أمامها حالات من الأشياء التي هي خارقة للعادة ومخالفة للشيء الطبيعي فيما يتعلق بالرزق الذي كان يأتيها، لا تكون القضية مفاجئة لها بشكل كبير هي: أن تحمل وتلد وهي في نفس الوقت ليست متزوجة كما قالت: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾(آل عمران:٤٧).

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(آل عمران: ٤٦) يكلم الناس في المهد: بعد أن تلد به هو كلّمها وعندما أخذته إلى قومها أيضاً كلّم القوم هو، ثم يكلمهم كهلاً في دور النبوة، حمْل الرسالة والتبليغ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾(آل عمران:٤٧) استفسار عن كيف سيحصل هذا! ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ﴾(آل عمران:٤٧ - ٤٩) هذا استفسار في مهمة عيسى ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ هل بمعنى أن عيسى يذهب ليدْرس في الكنيسة حتى يتعلم؟ لا؛ لأنه ماذا؟ قد صار هناك خلل، ثقافة غلط. عندما يقول: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ شيء من عنده هو سبحانه وتعالى: ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ﴾ إلى بني إسرائيل في المقدمة؛ لينهضوا معه بدور الرسالة العام التي هي رسالة للعالمين كما قال

إبراهيم في دعوته: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة:١٢٩) هل معناه أنه يريد رسولاً لأولاده فقط؟ لا، ابعث فيهم رسولاً منهم ويكونون هم مع هذا الرسول من ينهضون بالرسالة للناس جميعاً.

لاحِظ هنا في قضية: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ قد يكون الكتاب أحياناً - مع ذكر التوراة والإنجيل - المكتوب، أي: المفروض المحتوم، أي: هناك خلل حتى فيما يتعلق بكثير من القضايا المكتوبة الفقهية - مثلاً - خلل في فهم التوراة، أمَّا الإنجيل فهو جاء على يده، وفي مسألة: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ أي: ويعلمه الله ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾.

لاحِظ مثلاً كيف عند (الزيدية) في موضوع: (ولاية الأمر) أليسوا يقولون: (أن يكون عالِماً؟) أن يكون عالِماً معناه: أن يقرأ يقرأ يقرأ عند أولئك الذين هم مليئون بالغلط حتى يمتلئ (مَقْرَأ) ثم يصبح إماماً، فيكون إماماً بالمقلوب حقيقة، بعضهم في الأخير يصبح إماماً لا يمكن أن يكون هادياً إلى الله على الإطلاق.

لهذا نحن نقول: قضية هذه الثقافة، أن نعرف كيف هي سُنة الله من داخل القرآن نفسه، نعرف كيف سُنة الله بالنسبة للأعلام وللهداة، ليست قضية تخضع لمقاييس البشر وشروطهم، لاحِظ هنا في عيسى يقول: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّورَاةَ﴾ والتوراة أليست موجودة من قبل عيسى؟ والكنائس أليست مليئة ولديهم مفسرون للتوراة وشرَّاح للتوراة ومدرسون للتوراة؟ هنا يحتاج إلى تعليم من جهة الله سبحانه وتعالى، أو ليس بإمكان الله أن يعلِّم؟ أليس الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يعلِّم؟ هو يقول لنبيه: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(طه:١١٤) هل رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تخرَّج من مدرسة مُعيَّنة؟ فيما يتعلق بعيسى (عليه السلام) مثل أكثر في القضية، أي: بُعِثَ من وسط أمة لديها ماذا؟ تجمعات علمائية، فقهية، دينية، ومعابد، وأشياء من هذه، وسط ديني، هنا يحتاج هذا الإنسان هو نفسه إلى أن يُعلَّم من جهة الله.

بل قضية كانت معروفة عند أهل البيت السابقين الذي يقرأ - مثلاً - للإمام القاسم بن إبراهيم أو الإمام الهادي أو الإمام زيد بن علي أو الإمام علي في فقرات داخل (نهج البلاغة) تجدها قضية معروفة لديهم، وعند المتأخرين جعلوها شروطاً هم يقدمونها وتقنيناً من عندهم هم كيف تكون المسألة إلى أن ظهرت نماذج خطأ إلى أن أصبحت الساحة بالشكل الذي لا تقبل نماذج صحيحة وفق المقاييس الإلهية التي ذكرها في القرآن. (هل قرأت أصول فقه؟ هل قرأت علم كلام؟ ما دُمتَ لم تقرأهما إذاً لست عالِماً، لا تصلح لشيء إذاً) أليست هذه واحدة؟

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٤٩) آيات تشهد بنبوته، يلاحظ أن تكون الآية على هذا النحو؛ لأنه قد صار هناك خلل عندهم هم حتى في موضوع فهم الآيات؛ لأنه قد يكون هناك مقولات كثيرة لديهم تجعل الكثير مما هي آيات تفلسف كظواهر يمكن أن تكون طبيعية؛ فكانوا قد أصبحوا محتاجين إلى آية من هذا النوع، هذه آية من الأشياء الخارقة بشكل رهيب يصنع من التراب صورة طائر فينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله، أليست هذه آية عجيبة جداً؟ ويقول لبني إسرائيل: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ أليس يتحدث مع بني إسرائيل؟ وبنو إسرائيل أليسوا مجتمعاً لديه ثقافة دينية، وموروث ديني؟

﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٤٩) لاحِظ هنا يقول: بإذن الله، بإذن الله، قضية يركّز عيسى من البداية من أول ما تكلم عندما وضعته أمه ألم يقل: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ عندما كلّم قومه ﴿قَالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾(مريم:٢٩، ٣٠)؟ هذه أول عبارة يقولها لها علاقة بماذا؟ عندما يأتي أناس يؤلهونه ويعتبرونه إلهاً يكونون مفترين عليه ولم يكن بسبب أنه جاء في وضعية غير طبيعية فلم يأتِ من جانبه ما يمكن ماذا؟ أن يُبعِد أيَّ افتراء من هذا النوع، أول كلمة قالها: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ثم هنا يقول: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿فَيَكُونُ طَيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَأُحْيِي الْمَوتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:٤٩) آيات من الآيات الخارقة بشكل رهيب جداً أمام مجتمع لديه موروث ديني ويعرف موضوع نبوات وكتب إلهية وأشياء من هذه، أي: لتعرف أحياناً كيف تصل بالناس الثقافة الخاطئة فيصبحون في وضعية أبعد من الأمم البدائية أبعد من الأمم الكفرية، لو بُعِث إلى أمة كافرة نهائياً لا تعرف شيئاً من قبل ربما لَمَا احتاج إلى آيات من هذا النوع الذي احتاج إليها مع بني إسرائيل، ولا يزال فيها: ﴿إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ خلق، وإحياء موتى، وعلم غيب، إذا كان سينفع فيهم؛

لهذا فعلاً يعرف الإنسان من خلال هذا كيف تكون الآثار الرهيبة السيئة للثقافة الخاطئة للمفاهيم المغلوطة.

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾(آل عمران:٥٠) إذاً هذه كلها مقومات مشجعة لأن يؤمنوا به ومع هذا لم يحصل إلاّ قليل ممن آمنوا به ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ من الأشياء التي حُرِّمت في السابق مما كانت حرِّمت عليهم لأسباب تعنت وعناد من جانبهم كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾(النساء:١٦٠).

﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾(آل عمران:٥٠-٥٢) بعد هذه الآيات العجيبة! أليست تبدو علم غيب؟ الله علّمه أن يَعْلَم ما في بيوتهم، ما يدَّخرونه في بيوتهم وما يأكلونه، هذه الآيات الثلاث العجيبة. ثم إن الإيمان به أيضاً لن يكون معناه كفراً بالتوراة وفي نفس الوقت سيحل لهم بعض الذي حُرِّم عليهم ومع هذا ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ لم تنفع هذه الآيات عند كثير منهم لم يستنفعوا بها ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ إذاً هو يريد الخلاصة، يريد صفوة الناس؛ حتى يعرف كم معه مؤمنين صادقين ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٥٢) أليس العنوان هنا (مسلمون)؟ والدِّين الإلهي كله دين الله عنوانه (إسلام).

ثم يأتي في نص كلام الحواريين أنفسهم ما يُعتبَر أيضاً تكذيباً لكل الافتراءات التي جاءت من بعد من داخل النصارى، الإيمان بعيسى كان على هذا النحو: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٥٢) أي: مسلمون لله ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿رَبَّنَا﴾ أليست خطاباً؟ دعاء لله سبحانه وتعالى: ﴿آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾ بما أنزلته على أنبيائك بما فيه ما أنزلته على عيسى ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ رسولك الذي هو عيسى ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(آل عمران:٥٣).

اختلفت المسألة بالنسبة للنصارى من بعد: يقدِّمون عيسى ويجعلونه إلهاً ناسين بأن عيسى وُلِدَ في فترة مُعيَّنة! هم يذكرون هم عندما يتحدثون عن عُمْر الدنيا وعن هذا الإنسان كم له في الدنيا أليسوا يذكرون آلاف السنين؟ وأحياناً أرقاماً أكبر من آلاف السنين، أي: أن هذا هو العنوان الإيماني في كل المراحل، وفي أيام موسى ﴿آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ وفي أيام عيسى: ﴿آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ أليست شهادة لله وشهادة برسالة من أرسله؟ في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نفس الشيء أن يشهدوا بوحدانية الله ويشهدوا برسالة رسوله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه حتى العنوان الدِّيني أو نقول: بطاقة الدخول في الدِّين هي واحدة في كل مراحل التاريخ شهادة: إيمان بالله وإيمان برسوله وما أنزل على رسوله إيمان بأن أولئك هم رسل من عند الله ليس فيهم أحد يمكن أن تسميه إلهاً أو يجعلونه إلهاً.

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيرُ الْمَاكِرِينَ﴾(آل عمران:٥٤) الطرف الآخر بعد الآيات الكثيرة بعد الآيات الخارقة وهم أساساً مجتمع لديه موروث ديني يعرف موضوع الرسل وكتب إلهية وأشياء من هذه، ليست قضية تُعتبَر نادرة بالنسبة لهم. كفروا وتحولوا إلى مكر يمكرون مؤامرات كيف يحبطون عمل هذا، كيف ينهونه، تآمروا في الأخير أن يقتلوا عيسى.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(آل عمران:٥٥) لاحِظ في موضوع تقديم قصة عيسى هنا من البداية، أي: هي صورة من صور الاصطفاء الإلهي وفي نفس الوقت يُبيِّن لك واقع قضية على أساس هؤلاء النصارى إذا كانوا يريدون أن يعودوا أن يفهموا بأنه هكذا كان واقع المسألة، كان واقع قصة عيسى هي على هذا النحو: أنه وُلِدَ من امرأة اصطفاها الله سبحانه وتعالى، يأتي بقصة ولادته، ثم يأتي بكيف كان الإيمان به على لسان الحواريين: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(آل عمران:٥٢، ٥٣) مما يعني أنه إنسان اللهُ قال له إنه سيتوفاه.

لاحِظ هذه القضية نفسها: معروف أن الإنسان سيموت، لكن هذه لها أثر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: سأميتك؛ ليعرفوا أنه بشر أنه عبد لله مثل ما قال هو أول كلمة: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ألم يقل من أول ما ﴿قَالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾(مريم:٢٩، ٣٠)؟ أي: أنه في هدى الله سبحانه وتعالى يأتي تبيين، تأتي أشياء بالشكل الذي تكون مبطلة لِمَا يمكن أن يحصل؛ لأن الله هو عالِم الغيب والشهادة فما يمكن أن يحصل من ادعاءات يكون قد سبَّق لتلك الأمة ما يُعتبَر ماذا؟ ما يُعتبَر مبعداً لها عن ذلك الخطأ الذي يمكن أن تقع فيه وشاهداً على بطلان ما وقعت فيه وأنها مفترية على الله.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾(آل عمران:٥٥) والتوفي الله قال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا﴾(الزمر:٤٢) أي: سأميتك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ كما نقول: إن رسول الله لحقت روحه بالرفيق الأعلى، ألسنا نقول هكذا؟ ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ﴾(آل عمران:٥٥) أليس هناك قال عنهم: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيرُ الْمَاكِرِينَ﴾(آل عمران:٥٤)؟ من مكرهم أنهم يريدون لهذا ألاّ يظهر لأنه قال هناك ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(آل عمران:٥٠) وهذا يعطيك مؤشراً بأن هذا المكر جاء من داخل الشخصيات الكبيرة: وجهاء القوم وكبارهم حتى من الناحية الدِّينية ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

فكفروا به، يذهبون يتآمرون عليه كيف يمسحونه من الوجود فكان مما هو نقيض ما يمثل دافعاً بالنسبة لهم وهم يمكرون أن يجعل من اتبعوه فوقهم دائماً إلى يوم القيامة، وبعنوان ﴿اتَّبَعُوكَ﴾ المؤمنون بك مثلما نقول في كلمات أحياناً في كلمة (اتِّباع) أحياناً كلمة (إيمان)، (أهل الكتاب) تأتي أحياناً متعددة مثلما نقول الآن: المسلمون أتباع رسول الله، أليس كذلك؟ أليست عبارة صحيحة؟ المسلمون الآن في العالم هم أتباع محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أتباعه بهذا المعنى العام: المؤمنون برسالته ويحسبون أنفسهم منتمين إليه مؤمنين به وضمن الملة التي هو عليها، هذا بمعنى أتباع هنا بالمعنى العام في إطلاق اللفظة بالشكل العام، وعندما تعود إلى الكثير منهم تجد أنهم غير متبعين بالشكل المطلوب، يكون التوجيه في الداخل أننا نتبعه حقيقة، أليس كذلك؟ لكن هذه الوضعية باعتبار الانتماء، هذه الهوية يصح أن يقال فيها أتباع محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

لهذا تجد أن هذه ظاهرة فيما يتعلق باليهود إلى الآن؛ لأن الفئة الكافرة بعيسى الآن مَن هي؟ اليهود. المسلمون مؤمنون به أنه عبد الله ورسوله، والنصارى كذلك مؤمنون به كرسول بنفس ذلك المسيح عيسى ابن مريم ولو حصل عندهم اعتقادات باطلة لكنهم يعتبرون أنفسهم أتباعه، أليس كذلك؟ تجد اليهود الآن على الرغم مما وصلوا إليه، وسيطرتهم على وسائل الإعلام، على الاقتصاد، على أشياء كثيرة، لم يستطيعوا أن يظهروا هم هم دون أن يكونوا محتاجين للآخر والآخر يرونه من فوقهم. إسرائيل دولة هنا ظهرت في المنطقة تجدها حياتها متوقفة على مساندة أمريكا وأمريكا تساندها مع أنهم مؤثرون داخل أمريكا، لكن لا بُد أن يكون (تحت) مهما كان إلى يوم القيامة، مهما بقي هؤلاء إلى يوم القيامة سيظلون تحت.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَينَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِن نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(آل عمران:٥٥-٥٧) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ﴾ أليست هناك آيات كثيرة تتكرر في القرآن! في موضوع (الوعد والوعيد) في موضوع العقوبة؟ هذه قضية نُسيت تقريباً من تثقيفنا وطرْحنا للناس وتعليمنا، نُسِيَ التركيز على هذه القضية: أن هناك عقوبات في الدنيا. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾(آل عمران:٥٨) ﴿ذَلِكَ﴾ ما نقصه عليك ﴿نَتْلُوهُ عَلَيكَ مِنَ الآيَاتِ﴾ هي تُعتبَر آيات بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لأن الله قال بالنسبة له: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(هود:١٢٠) أي: أن نفس الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يستفيد من هذه الأشياء، يستفيد من هذه الآيات التي هي ماذا؟ قصص من تاريخ الأنبياء السابقين.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾(آل عمران:٥٩) عندما حصل استبعاد (كيف يمكن أن يُوجَد وليس لديه أب؟!) ذلك أول واحد (آدم) أليس بدون أب؟ فليست قضية أن نقول: لا يمكن أن تكون معقولة، هو مثله ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ كذلك بالنسبة للآية الأخرى لها علاقة فعلاً وهي الآية نفسها التي يعطاها: أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائراً، ليست قبله بيضة ولا ديك ولا شيء، أليست شاهداً بالنسبة له هو؟ أي: معجزة متناسبة مع الإيمان بإمكانية أن يُوجَد دون أن يكون له أب وفق التسلسل المعروف في النسب وفق الطريقة المعروفة في التوالد.

إذاً هذه هي فعلاً فائدة كبيرة أن نعرف العلاقة ما بين المعجزة التي أوتيها وما بين وضعيته هو والحالة التي وجد عليها ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُن مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(آل عمران:٥٩، ٦٠) الحق في كل قضية بما فيها الحق في موضوع هذا القصص الذي نتلوه عليك من الآيات؛ لهذا إذا كان هناك أيُّ قصص آخر يأتي من عند الآخرين فلا تعتمد عليه؛ لأن الله أعلم بالحق، وتجد

بأنه يأتي في موضوع القصص بأشياء هي هامة في مجال العبرة، وقد تستطيع من خلال ما قُدِّم أن تبحث عن الصورة الكاملة للقضية فتكون مساعدة على إعطاء تشخيص للمجتمع تشخيص للحالة تشخيص للوضعية من خلال ما قُدِّم.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ في شأن عيسى ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾(آل عمران:٦١) هذا هو العلم الذي جاءك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(آل عمران:٥٩) وما تقدَّم وما تضمنته أيضاً آيات أخرى في موضوع عيسى: قصته وقصة أمه ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ جادلك: يحاججك ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(آل عمران:٦١) يجمع كل واحد منا أعز ما لديه بالنسبة لأسرته أقرب الناس إليه يجمعهم؛ من أجل أن يُضرَب هو وكل ما حوله: أعز الناس إليه، أقرب الناس إليه.

هنا في هذا الموضوع لاحِظ أننا نستطيع أن نأخذ صورة متكاملة من داخل القرآن الكريم في موضوع الأشياء التي فيها محاججة: أطروحات من الآخرين، جدل من الآخرين، شُبَه من الآخرين، فيها ما يأتي رد مباشر، فيها ما يأتي رد بشكل آخر بأسلوب آخر، فيها ما يكون هناك سكوت، وفيها ما يكون على هذا النحو ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾(آل عمران:٦١) فيها ماذا؟ فيها مباهلة أنتم طرف ونحن طرف نبتهل إلى الله بالدعاء أن يجعل لعنته على الكاذبين.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾(آل عمران:٦٢) لأن النصارى قد أصبح عندهم قصص أخرى كثيرة، عندهم قصص أخرى محرفة، عندهم عقائد جعلوها محرفة، حتى جعلوا عيسى إلهاً! من العجيب أنك تجد القرآن الكريم يشهد بهذا التحريف؛ ولهذا قال الله فيه: ﴿مُهَيمِنًا﴾ على الكتب السابقة ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ﴾ يجب أن تنظر إلى الكتب السابقة من خلال القرآن الكريم؛ لتعرف حتى أنه حصل تحريف فعلاً وأن ما بين أيديهم لا يوجد كتاب يمكن أن تقول: هذا الكتاب الذي أنزل من عند الله، مجموع كتابات مخلوطة فقرات من هنا وفقرات من عندهم، لا تجد في داخل الأناجيل الموجودة الآن مثلاً عبارات: أنه رسول الله وعبد الله وأشياء من هذه! نسِفت في الغالب، مع أن الشيء الطبيعي أن تكون قضية متكررة داخل الإنجيل الذي نزل على عيسى، قضية متكررة لماذا؟ لأن أول عبارة قالها عندما تكلم ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ هذه نسفوها نهائياً لا يوجد حديث: أنه عبد الله وأشياء من هذه، فهذا نفسه يشهد بأنه وقع تحريف من لديهم فعلاً.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ فتعتمد هذا في نظرتك إلى ما قدَّموه؛ وهناك سيظهر لك الخلل ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ﴾(آل عمران:٦٢) هذا رد عليهم عندما يجعلون عيسى إلهاً، هم يسمونه الرب وتسمع في إذاعاتهم وفي أخبارهم تجد هذه الظاهرة هي السائدة داخل النصارى، هذه الظاهرة منتشرة فيهم بشكل عام: جعلوا عيسى رباً وهو عبدٌ لله والله يقول: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾(آل عمران:٦٢، ٦٣) أي: هكذا يكون موقفك: أن تفهم أن الحق من ربك فلا تمتري: لا يكن عندك أيُّ اضطراب أو شك في ما قُدِّم إليك أو حكايات يقدِّمونها من عندهم فتجد عندك إيماناً بشيء مما فيها وهو مختلف عمَّا قُدِّم إليك.

ثم لِيَكُنْ موقفك معهم على هذا النحو: مباهلة؛ ولهذا روي في قضية مشهورة أن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) جاء بعلي وفاطمة والحسن والحسين، عندما وفد إليه نصارى نجران وحصلت محاججة قال: فلنتباهل ﴿فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(آل عمران:٦١) ثم تراجعوا هم خافوا أن يباهلوا؛ لأنهم عارفون بأن العقوبة قد تكون عليهم هم تنزل اللعنة عليهم. وتجد أنه بالنسبة لـ﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ والقصص الحق الذي ليس فيه ما يمكن أن يؤدي إلى أن يُقَدَّم عيسى إلهاً أو رباً كما عند النصارى، أي: أن القصص الآخر الباطل الذي لديهم يكون قصصاً بالشكل الذي يسوِّغ ما قدَّموه من أنه ماذا؟ من أنه رب فجعلوه رباً. نفس القصص يكون مؤثراً، ثم إن بعض الكتَّاب المسيحيين الذي كان في الأصل مسيحياً، عندما أسلم قال – أيضاً –: بأن هذه لم تأتِ إلاّ متأخرة ربما من بعد المسيح تقريباً بمائتي سنة أو نحوها، طرحوا هذه الأطروحة وجعلوه رباً، لم تأتِ إلاّ متأخرة.

﴿فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ لا تكترث بتوليهم، لاحِظ هذا الموضوع يتكرر داخل القرآن الكريم بشكل عجيب ومؤكد، أي: مواقف ثابتة لا يجرك حرصك أو يجرك – مثلاً – أشياء أخرى إلى أن تحاول أن تقدِّم تنازلات أو أشياء من هذه عندما يحصل حجاج من الآخرين أو يحصل عروض من آخرين، لا، قضايا يجب أن تكون ثابتاً عليها ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾(آل عمران: ٦٣).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوا﴾ هذه دعوة إيمان هلموا آمنوا بهذه ﴿تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَينَنَا وَبَينَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ

﴿إِلاَّ اللَّهَ﴾(آل عمران:٦٤) هذه الكلمة نفسها هي الكلمة التي قال الله هناك: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾(الزخرف:٢٨) هي قضية واحدة داخل دين الله، أي: الذي لدينا ليس شيئاً خارجاً عن دين الله الذي أنتم تعرفونه ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٦٤) أليست هذه الأشياء أصولاً معروفة لديهم في الدِّين؟ وهناك شواهد عليها فيما لديهم في تراثهم شواهد على هذه؟ النصارى الآن لا يَعتبرون أنفسهم مشركين، ولا يَعتبرون أنفسهم كافرين بالله. اليهود كذلك لا يَعتبرون أنفسهم كافرين ومشركين بالله، هم يرون أن المشركين هم الفئة الأخرى المعروفة المشركون الذين هم ماذا؟ يعبدون أصناماً.

هذه تمثل – فيما يتعلق بما يسمونه: (الحوار) – أسساً، ضوابط للحوار، أي: هذه تمثل قواعد مشتركة هي في نفسها تُعتبَر مقاييس يتم على أساسها بيان لِمَا هناك من أخطاء، عندما يقول: ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٦٤) وقبلها ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيئًا﴾ أليست هذه تُعتبَر قواعد، تُعتبَر مقياساً هي عندما يقول: ﴿وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيئًا﴾ أنتم عندما تقولون في المسيح (كذا كذا كذا) إذاً هذا يتنافى مع هذه القاعدة، أي: هذا يُعتبَر شركاً، إذاً يجب أن تتخلوا عنها. مع أن هذه الأشياء يؤمنون بها جملة: عبادة لله، أن الشرك محرم في دين الله، يؤمنون بهذه، وكذلك ألاّ يتخذ بعضناً بعضاً أرباباً من دون الله، وهذه أشياء سائدة داخلهم كما قال عنهم في آية أخرى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾(التوبة:٣١).

أي: فيما لو قام حوار بينك وبينهم تُعتبَر هذه قواعد تمثل ضابطاً؛ لأن أيَّ حوار بين أطراف لا بُد أن يكون هناك قواسم مشتركة – التي يسمونها – يكون هناك قواعد (قضايا) يلتقي عليها الكل يعتبرونها ماذا؟ منطلقاً لحوارهم.

القضية من البداية تبدو دعوة إيمانية ﴿تَعَالَوا﴾ لا يوجد: نحن سنأتيكم هكذا. كيف موقف العرب الآن؟ هذه تمثل ثقة أن الإنسان الذي هو فعلاً يسير على دين الله يجب أن يكون واثقاً بما هو فيه وما هو عليه، ﴿تَعَالَوا﴾ أنتم، عندما تكون بمعنى داعٍ تدعو إلى دين الله فادعهم إلى أن يسيروا إلى هذه الأشياء التي أنت تؤمن بها وتسير عليها لا أن تحاول أن تؤقلم نفسك مع الآخرين فتسير أنت وراءهم وتحاول أن تزيل من الدِّين الأشياء التي قد تغضبهم مثلما يعمل العرب الآن: ألغوا الجهاد، وقدَّموا تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(البقرة:٢٥٦) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(البقرة:١٤٣) وأشياء كثيرة. (قدَّموا الدِّين بالشكل الذي يجعلنا ننسجم مع أولئك!).

لا، هذه الدعوة هي ﴿تَعَالَوا﴾ تعالوا، هذه قضية هامة في مسألة أن تبدو أنت أمام الآخر واثقاً بما أنت عليه، قضية أساسية في قابلية ما أنت عليه من الدِّين: أن تبدو واثقاً بما أنت عليه قضية هامة، الاهتزاز يطمع الطرف الآخر فلا يجعلك في وضعية ينجذب إليك، لا ينجذب إليك إنما فقط يحاول أن يُملي عليك أكثر، يسحبك إليه، ويجردك من كثير من الأشياء التي لا يريدها، إلى أن تصبح في الأخير تابعاً له.

ليست صحة ما الإنسان عليه تتوقف على أن يكون مقبولاً عند الآخرين، هذه قاعدة هامة، نحن داخلنا فيما يتعلق بموضوع أنهم يحاولون أن يحتجوا على السُّنية، على آخرين وهكذا أخذ ورد حتى يبدو أن الشيء الذي لدينا وليس موجوداً عند الطرف الآخر يبدو وكأنه غير صحيح! أو إذا هناك شيء رفض الآخرون أن يؤمنوا به فنكاد نحن نتخلى عنه! أن تكون مؤمناً بالشيء يجب أن تكون واثقاً من نفسك بأنه صحيح، وأنك في موضع الثقة بما أنت عليه، وتعطي ثقة تبدو أمام الآخر، أي: قضية ظاهرة، يظهر للآخر أنك واثق بما أنت عليه، قُلْ ﴿تَعَالَوا﴾ أليس هذا كلام الواثق من نفسه؟ قُلْ ﴿تَعَالَوا﴾ كلام الواثق من نفسه بصحة ما هو عليه.

﴿فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أليست هذه مواقف ثابتة؟ هذه قضية هامة جداً، وليس إذا تولوا فابحث كيف تقول: (مستعد، أبْعِدوا هذه، اسكُتوا مِن هذه، سنقدم بنداً آخر غير هذا) مثلاً إذا لم يعجبكم: ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٦٤) فسنخفيها ونقدِّم عنواناً آخر! ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا﴾ إذاً ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٦٤) فلا جِعل بالنسبة لكم[1].

هذه المواقف الثابتة هامة جداً، ولاحِظ ما أحوج الناس إليها في هذه المرحلة! ما أحوج العرب إليها في هذه المرحلة أن يتعلموا من القرآن كيف تكون مواقفهم ثابتة وكيف يكون تعاملهم مع الآخرين (مع اليهود والنصارى) الآن! يقدِّمون مبادرة لم تعجبهم وقدَّموا مبادرة أسوأ، وهكذا إلى (الأسفل) وصل الأمر الذي انتهت إليه القضية إلى أن صار هناك املاءات من جانب اليهود والنصارى على المسلمين: (أبْعِدوا هذه الآيات

(١) فلا جِعْل بالنسبة لكم: أي: أسلَمتم أم لم تُسلِموا.

من القرآن، أدخِلوا هذه في المناهج، اجعلوا المنهج بهذا الشكل، غيِّر حكومتك بهذا الشكل: اجعل فلاناً هنا وفلاناً هناك) أليس هذا هو الذي يحصل؟ لأنه لم يحصل عند المسلمين موقف ثابت: ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ماذا يعني هذا؟ هل استكمل ما يعتبره الآخرون (دعوة حوار)؟ هل استكمل القضية معهم؟ هناك ثلاثة أشياء إذا كنتم تريدون فنحن ندعوكم إلى أن تأتوا، وهي قضية معروفة عندنا وعندكم، ولو تحاورنا، أليست هذه ثوابت؟ لم يرضوا أن يقبلوا فمع السلامة، اشهدوا أنتم أننا مسلمون، هذا مازال يعطي ماذا؟ يعطي ثقة بما نحن عليه: من كلمة ﴿تَعَالَوا﴾ وعندما نقول في الأخير: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لم يقل: (إذاً، إذا لم يعجبهم هذا البند نُقدِّم بنداً آخر، تنازُل قليلاً قليلاً) لم تحصل هذه؟

هذه الدعوة أهم بكثير مما قدَّمه (خاتمي) التي يسمُّونها دعوة: (حوار الحضارات) لأنه هنا في هذه الآيات نفسها ليس فيها إقرار أنهم على شيء حقيقة، فهُم هناك شيء متكامل يؤمن باستقلاليته ويؤمن بكذا، إنما نحاول كيف يكون تعاملنا مع بعضنا بعض، كيف تكون حركتنا مع بعضنا بعض، في هذه الحياة مثل مسألة: (حوار الحضارات) يدعوهم إلى ما هو عليه، وهذه المقاييس التي قدَّمها ألم يقدِّمها مما عنده هو؟ إنما باعتبار أن لديهم في كتبهم ما يُعتبَر إيماناً بهذه فتعتبَر شاهداً عليهم، أي: ما جاء الانتقاء أنه ينتقي أشياء من داخل ما لديهم، بل من عنده، هذا توجيه من الله، أليس هذا توجيهاً من الله؟ فقل: تعالوا ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوا﴾(آل عمران:٦٤).

ألم يأتِ هذا من عند الله؟ هذه البنود جاءت من عند الله ﴿تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٦٤) لو أتوا إلى هذه واعتبروها مقاييس كيف ستنتهي القضية بالنسبة لهم؟ هل سيبقون هناك حضارة أخرى أو سيكونون مسلمين؟ يُبيِّن لك أن المطلوب أن يكونوا مسلمين عندما قال بعد: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أمَّا نحن فنحن مسلمون، ليس موضوع (حوار حضارات) بل أن يردهم إلى الإسلام لله، إلى الحضارة الصحيحة الواحدة التي تبني الإنسان وتبني الحياة هي هذه: الإسلام لله.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(آل عمران:٦٥) في موضوع إبراهيم كل منهم يريد أن يدَّعي أنه أولى به! اليهود يقولون: إن إبراهيم يهودي، والنصارى يقولون: إن إبراهيم نصراني، كيف هذا ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ﴾؟! واليهودية قد قدَّموها برؤية أخرى هي ماذا؟ مِن بعد إنزال التوراة، بل وصلوا إلى حالة أعلى من هذه يقولون عنهم: إن كل واحد منهم يعتقد أن الله يهودي! أنهم يعتقدون أن الله على (كيفهم) مثلهم مثل أيِّ (حاخام) منهم.

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ في موضوع عيسى مثلاً في موضوعات من هذه لكن أن يأتي ليحاجج في إبراهيم ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ﴾ ودعاوى يهودية ونصرانية ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِهِ﴾ بكثير، يرد عليهم بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(آل عمران:٦٦، ٦٧).

لاحِظ هنا ظاهرة من مظاهر التلاعب بالدِّين يقولون للناس: ﴿كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى﴾(البقرة:١٣٥) يسحبون من هنا من تحت ويريدون أن يؤقلموا الآخرين معهم (إبراهيم كان يهودياً، وأنتم تيهودوا)! هذا الأسلوب غلط كله؛ لأن الموضوع هو إسلام لله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾(آل عمران:١٩) فقال لهم: إبراهيم كان مسلماً وجاء بكلام من كلام إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَينِ لَكَ﴾(البقرة:١٢٨) يعقوب عندما أوصى أولاده قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٢) وهنا أيضاً جاء بكلمة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إذاً هذه تُعتبَر مثلاً بالنسبة للناس، أي: بالنسبة للمسلمين أنفسهم، المسلمون أنفسهم ألم يصبحوا طوائف لديها عناوين داخلية؟ السُّني يريد أن يحوِّل الشيعي إلى سُني، والشيعي حريص أن يحوِّل السُّني إلى شيعي، وداخل السُّنية الشافعي يريد أن يحوِّل الحنفي إلى شافعي والحنفي يريد أن يحوِّل الشافعي إلى حنفي، وأشياء من هذه، الاثنا عشري يعمل لكي يحول الزيدي إلى (اثنا عشري) أليست هذه تحصل؟ هذه أساليب ليست صحيحة، إن الصحيح هو أنه كيف نعود إلى العنوان الرئيسي العنوان الأصلي: الإسلام لله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾(آل عمران:١٩) هذا العنوان الذي يجب أن نحمله جميعاً، وهذا العنوان الذي مقوماته يلتقي عليها المسلمون فعلاً، فنرجع إلى كتاب الله لنكون مسلمين، نترك عناوين من هذه العناوين الخاصة التي كل واحد قد ثقف ثقافة تجعله ينظر نظرة مشمئزة إلى الآخر، أليست هذه قد حصلت؟ بغض النظر عن مُحِق أو مُبطل داخلها.

لا يزال هناك طريقة هي التي علَّمنا القرآن الكريم أنها هي أقرب إلى أن نلتقي عليها ﴿تَعَالَوا إِلَى﴾ ماذا؟ إلى العنوان الرئيسي، أن نكون مسلمين لله، حتى عندما يعرض علينا قصة بني إسرائيل هذه القصص الطويلة العريضة ليس فقط أن ننظر كيف كانوا (الله أكبر عليهم كيف كانوا، وأشياء من هذه) لا، نحن نأخذ عبرة منها، نأخذ عبرة نحن في واقعنا حتى في مسألة كيف يمكن أن يلتقي الناس، ليست قضية أن تقول: المسلمون وصلوا إلى حالة مستحيل أن يكون هناك ما يمثل عاملاً يمكن أن يلتقوا حوله. إنما لم ينزل العنوان الرئيسي والذي يُعتبَر ماذا؟ فعلاً شبيهاً بتلك الآية السابقة ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا﴾(آل عمران:٦٤) أليس القرآن هو كلمة سواء بيننا؟ إذاً فلنعد إلى القرآن ونحمل اسم إسلام لله هذا الاسم الذي سمانا الله به وسمانا رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وحمل الاسم هو وسمانا إبراهيم من قبل آلاف السنين.

رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لا نقول: (هل كان شيعياً أو سنياً أو حنفياً أو مالكياً أو شافعياً أو زيدياً أو جعفرياً) أو أشياء من هذه؟ شبيهة بهذه. لاحِظ الناس عندما يؤطرون الدِّين في عناوين أخرى في الأخير تنتهي المسألة إلى ادعاءات، أليس الآخرون يدَّعون أن السلف الصالح هم كانوا على ما هم عليه عندما يقول لك: (نحن على ما عليه السلف الصالح)؟ أي: هو يدَّعي أن السلف الصالح كانوا على ما هو عليه، أليس كذلك؟ والسلف الصالح عندهم (ما أنا عليه أنا وأصحابي) أليس بعضهم يقولون هكذا؟ يجعلون السلف الصالح رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إذاً فرسول الله هو كان سُنياً! لم يأتِ عنوان سُنية أو عنوان شيعة كطائفة بهذا المعنى، لكن (تشيُّع) كاعتقاد كمبدأ لم يُقدَّم كطائفة، كاعتقاد ومبدأ لا يختص بطائفة مُعيَّنة، يجب أن يكون الناس متشيعين في الإمام علي، أي: شيعة له أتباعاً له؛ لأن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) جعله ولياً للمؤمنين من بعده، أليس هذا في (حديث الغدير) وحديث الغدير لدينا ولديهم؟

لا يأتي مثلاً في موضوع محاولة الالتقاء أن هذا شيعي يحاول أن يسحبهم إليه وذلك سُني يحاول أن يسحبهم إليه وأشياء من هذه! بل يكون بعنوان: الكلمة السواء التي بين الجميع وهي: القرآن الكريم، وإعطاؤه الأولوية المطلقة والحاكمية المطلقة؛ لأن القرآن هو حاكم على ما قدَّموه هم من السُّنة، أليس (حديث العرض) ينص على هذا ((فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله))؟ لأن كتاب الله هو المرجع نرجع إليه هو الكلمة السواء عندما تقول لي: وسُنته! السُّنة - كما قال الإمام الهادي - السُّنة المعلومة لدى الجميع باعتبارها أيضاً تمثل ماذا؟ قواعد عامة وتمثل ماذا؟ قواسم مشتركة يمكن أن نَعتبِرها مقاييس للحوار وقواعد ننطلق منها للحوار هذا فيما لو... وإلاّ فالمسألة أساساً لا تُقدَّم إلى هذا، وهذا من مظاهر رحمة الله بعباده أنه لا يعلق الفرج عنهم بما هو شبيه بالمستحيلات أو بما قد جعلوه وكأنه مستحيل، هل تستطيع أنت أن تحول الشيعة إلى سُنية أو السُّنية إلى شيعة؟ هل أحد يستطيع الآن؟ لا يستطيع، وهم ما زالوا يقدِّمونها - أيضاً - قضية حساسة جداً يستغلها العدو.

الطريق الذي يمكن أن يكون طريقاً صحيحاً لا يرتبط بهذا لا يقوم على أساس محاولة التقريب لأجعل الشيعي سُنياً أو السُّني شيعياً، بل منهج قائم هنا حركة على أساس القرآن الكريم تترفع عن كل العناوين الخاصة وتعطي أولوية للقرآن الكريم وتسير على هديه وتتحرك في هذه الساحة، دائرة قابلة للتوسع؛ لأن كل طرف لا يَعتبِر أنك تُقدِّم الشيء الذي هو قد ثقف على أساس النفور منه نهائياً، وعندما يراك - أيضاً - بأنك تقيِّم ما لديك ولديه بنظرة واحدة على أساس القرآن، وليس أنك تحاول أن تؤقلم القرآن على ما لديك من تراث ثقافي وما لديك من ماذا؟ من مرجعيات سواءً شخصية أو مرجعيات من الكتب.

على الطريقة التي نسير عليها، ألسنا ننقد ما لدينا وما لدى الآخرين؟ هل يستطيع أحد من السُّنية أن يقول: إن هذه نظرة متعصبة؟ لا، نحن نظرتنا إلى أنه يجب علينا جميعاً أن نرجع إلى القرآن الكريم ونقيِّم ما لدينا جميعاً، لدينا كلنا أخطاء، شيعة وسُنة، زيدية واثنا عشرية، السُّنة بمختلف طوائفهم، لدينا أخطاء كلها ناشئة من أننا ابتعدنا عن القرآن الكريم، إذاً فلنرجع إليه.

ولا يوجد هناك أنك تحاول أن تؤقلم القرآن معك وتقول للسُّني أن يتحول إلى عنوان آخر، إنما نرجع إلى ماذا؟ مسلمين لله، هذا العنوان الرئيسي نرجع إلى أن نحمل عنوان (مسلمين) والناس ربما في هذه المرحلة أحوج ما يكونون إلى أن يحملوا هذا العنوان وحده فعلاً، في هذه المرحلة بالذات في موضوع صراع عالمي، أليس هناك صراع عالمي الآن؟ لأن هذا هو العنوان الهام الذي يجعل هذا الدِّين مقبولاً عند الآخرين عند البشر جميعاً لا يؤطَّر بأطر قومية بأطر عرقية مُعيَّنة بأطر إقليمية نهائياً؛ لأن كلمة (إسلام) كلمة عامة بمعنى: إسلام لله، والبشر لديهم معرفة بالله سبحانه وتعالى.

لاحِظوا في هذه الآية عندما قال: ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٦٤) ألم يقل هكذا بعدما دعاهم؟ ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وهم يظلون مشغولين كل واحد يحاول أن يرد الناس، يقول اليهود: كونوا هوداً إبراهيم كان يهودياً! قال أولئك: كونوا نصارى إبراهيم كان نصرانياً! الجنة لن يدخلها إلاّ من كان يهودياً، والنصارى يقولون هناك: لن يدخلها إلاّ من كان نصرانياً! أليست بهذا الشكل؟ قد صار هناك عمل غريب جداً، وهم يُدعَون إلى أن يكونوا مسلمين.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ مسلماً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾(آل عمران:٦٧، ٦٨) وهذه فيها تعريض بالنسبة لليهود والنصارى وبالنسبة لأيِّ فئة أخرى، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا مشركاً، بل كان مسلماً. وفي هذه العبارة تعريض أيضاً بأنه يمكن أن يكون فيها إيحاء بالنسبة لواقع اليهود وواقع النصارى أن هناك نوعاً من الشرك بشهادة أول الآية: ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٦٤) ولِمَا حكاه في مقامات أخرى.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:٦٨) والذين آمنوا بهذا النبي وبما أُنزل إليه ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لاحِظ هنا القضية إبراهيم ثم فوق إبراهيم إلى الله هي هنا ولاية الله، لا يتصور اليهودي أنه ولي الله ولا يتصور النصراني أنه ولي الله.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾(آل عمران:٦٩) وهذه من الأشياء العجيبة بعدما يذكر آيات هامة جداً وآيات خوارق بالنسبة لهم لا يرضى الكثير منهم أن يؤمنوا، بل يظلوا متحركين هناك مكر يذكر عنهم ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيرُ الْمَاكِرِينَ﴾(آل عمران:٥٤) ثم محاولة بالنسبة للآخرين كيف يضلونهم، ألم يكن قبول تلك الآيات ألم يكن الإيمان بالشكل الذي يجعلهم يتحركون في أوساط الناس ليكونوا مؤمنين؟ ألم يكن هذا خيراً لهم وخيراً للبشر، بدلاً من أن يكونوا متحركين ليضلوهم؟

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(آل عمران:٦٩) هذه الآية نفسها من الآيات الهامة؛ ولهذا نقول: إنها تُعتبَر نعمة على الناس أن يكون أعداؤهم هم أعداء لله أن يكون أعداؤهم بما يعملونه هم يستوجبون عذاب الله في الدنيا والآخرة، أن يكون ما يعملونه هو ضلال والضلال في الأخير هو ماذا؟ ضلال لأنفسهم، أي: ما يعملونه من محاولة إضلالكم هو ضلال لهم فطريقتهم هذه التي يتحركون فيها قد يكون لديهم رؤية بأنه مستقبل زاهر بالنسبة لهم ونتائج طيبة ويلمسون في الداخل، أي: في قضايا جزئية وكأنها كلها صالحة أليس كذلك؟ لكن قد تكون في الأخير فعلاً لضياعهم.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾(آل عمران:٦٩) وكلمة (ضلال) في معناها العام في القرآن الكريم وبمعناها اللغوي ماذا؟ الضياع، أن تضيع أمة عندما تُضَلل ثقافياً يؤدي إلى ضياعها عندما تكون حركتها قائمة على أساس تضليل يؤدي إلى ضياعها. هذا أيضاً حاصل بالنسبة للمسلمين عندما حصل ضلال – مثلاً – ألم تكن عاقبة الضلال ضياعاً لنا؟ لأنه هكذا. وإذا بنا في الأخير أمة ضائعة، أليس هذا هو الحاصل بالنسبة للعرب الآن؟ بالنسبة للحكومات والشعوب في الغالب هكذا.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(آل عمران:٦٩) إذاً فمعنى هذا أنه يعطي الناس أملاً في مواجهتهم مع اليهود والنصارى؛ لأن حركتهم حركة إضلال حقيقة ليس فيها شك، عندما يقول: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ معناه: هم سيضيِّعون أنفسهم في الأخير يعطي الناس أملاً كبيراً جداً؛ لأن هذا شيء من جهة الله يُبيِّن وكأنها سُنة، وتجدها فعلاً أن مَن يسيرون على ضلال ينتهي بهم الضلال إلى ضياع أنفسهم.

عندما ابتعد المسلمون عن القرآن الكريم ولديهم أشياء كثيرة فيها أشياء كثيرة من الضلال وصلت هذه الأمة إلى حالة الضياع في عصر قد يكون من أزهى عصور الدنيا، أليست الحالة التي تعيشها الأمة الآن هي حالة ضياع؟! إذاً فهي سُنة تشمل الكل والنص هنا فيما يتعلق بأهل الكتاب: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ عندما يقول: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(آل عمران:٦٩) معناه أن الله هو يدبِّر؛ ولهذا قال هناك: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيرُ الْمَاكِرِينَ﴾(آل عمران: ٥٤).

فكلما تحركوا بشكل أكبر كانوا يسيرون إلى ماذا؟ إلى ضياع أنفسهم في الأخير بعد أدوار مُعيَّنة قد تكون منوطة بحركتهم: ضرب فئات كثيرة من الناس، وضرب حكومات، وضرب متخاذلين، وضرب... هذه سُنة إلهية ﴿وَلَولاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾(البقرة:٢٥١) لكن في الأخير لن تكون الأمور كما

يخططون لها فتكون النتيجة كما يريدون، بل سيضلِون، أي: سيضيعون هم! لكن لا تكون هذه بالشكل الذي يمكن أن يقول الواحد: سننتظر حتى يضلوا ويضيعوا! ستضيع أنت؛ لأنك في حالة ضلال في نفس الوقت لأنك مُلزم أن تتحرك في مواجهتهم أن تعمل لإعلاء كلمة الله، إذا وقفت وقعت في ضلال ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(آل عمران:٦٩) ستضل معهم.

هذه الآية هي واحدة من الآيات التي يجب أن تكون بالشكل الذي يعطينا نظرة ثابتة لدينا وقضية مفهومة عند أيِّ واحد أن تعرف بأن الله قال: إن هناك طائفة من أهل الكتاب يودون لو يضلونكم. موضوع الطائفة لا يكون متعلقاً بأرقام مُعيَّنة مثلاً قد تقول: الشوافع طائفة، الاثنا عشرية طائفة، قد يكون الشيعة طائفة قد يكونون ملايين ليس معناه: إذاً فأمامك فئة مُعيَّنة فقط من داخل هؤلاء، قد تكون هذه الطائفة هي التي تمسك بمفاصل الاقتصاد والإعلام والسياسة والحكومات في البلاد الغربية.

أليسوا هم يحاولون أن يوظفوا الآخرين؟ حتى لو لم يكن عند الآخرين مشاعر ود من هذه إلاّ متى ما ثقِّفوا وشجِّعوا على أن ينطلقوا: بأن أعمالهم عظيمة وأشياء من هذه يوجد عندهم ود أنه قد تكون هذه الطائفة طائفة تحرك ملايين، طائفة تحرك إمكانيات كبيرة. إذاً فإن لديهم وداً، أي: رغبة وميل يمثل لديهم أمنية أن يضلوكم. لا يكون أحد متوقعاً من جانبهم هدى أو صلاحاً أو حرية أو أيَّ شيء من هذه الأشياء التي يقدِّمونها أبداً هم لن يقدِّموا إلاّ ضلالاً ولا يريدون لنا نحن إلاّ ضلالاً.

فعندما يكون لديهم هذه الرغبة وهذا الميل الذي يمثل لديهم أمنية فمعنى هذا ماذا؟ عندما يجدون أنفسهم متمكنين ينفّذون، يعملون، أليس هذا الشيء الذي هو حاصل الآن؟ عندما صار لديهم إمكانيات ولديهم نفوذ سياسي وقوة عسكرية كبيرة وقوة اقتصادية كبيرة اتجهوا لتنفيذ ما هو أمنية لديهم: أن يضلوكم، كلمة ﴿يُضِلُّونَكُمْ﴾ تعني: الضياع بكل ما تعنيه الكلمة في كل مجالات الحياة، لا يكون معناه فقط أنه يحول عقيدتك، هذه واحدة من الأشياء ﴿يُضِلُّونَكُمْ﴾ يريدون أن يجعلوكم أمة ضائعة أمة لا تمثل شيئاً.

إذاً الله قد شخّص لنا في القرآن الكريم بشكل كبير بحيث أن ما يأتي من لديهم ليس هناك شيء يمكن أن تسميه جديداً بنسبة ١٠٠٪ لم يتعرض له القرآن، كل ما يمكن أن يعملوا ويفكروا فيه، شخّص نفوسهم بحيث لا يبقى إلاّ تفاصيل فقط تفاصيل في إطار خطة مُعيَّنة، الخطة الْمُعيَّنة نابعة من فكرة مُعيَّنة، عندما تعرف الفكرة والتوجه ستعرف علاقة الأسلوب بالفكرة، فترى بأن القرآن الكريم عندما يهدي إلى ما لديهم من رغبة، هو جاء بتفاصيل فيما يتعلق بماذا؟ بالضلال لديهم وسيأتي بعد في هذه الآيات كيف طرُقهم في التضليل كيف طرُقهم في الخداع؛ لأنه هدى متكامل في هذه القضية، لأنها قضية هامة فعندما يقول: ﴿لَو يُضِلُّونَكُمْ﴾(آل عمران:٦٩) والله هناك يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(البقرة:٢٥٧) إذاً فلا بُد، وهذا الشيء الذي وقع فعلاً من خلال القرآن الكريم، قد بيَّن ما يجعل الناس بمنأى عن إضلال أهل الكتاب لهم، وأعطى هذا مؤشراً يساعد الناس في مجال مواجهتهم، أن ما يتحركون فيه من إضلال لكم، إي: إضاعة لكم هو في الأخير سيكون لإضاعة أنفسهم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(آل عمران:٦٩).

فهنا أعطاك من خلال حركتهم ما يُعتبَر ماذا؟ أملاً وأنت تتحرك ضدهم أنك أنت تعمل والله من عنده وهم من عندهم إلى ماذا؟ لأن يصلوا إلى حالة الضلال الضياع؛ فيصبحون لا شيء. ضلالهم أليس معناه في الأخير أنه تلاشي كياناتهم الكبيرة؟ لأن الضلال معناه: ضياع أمة عندما تفقد مقومات القوة لديها.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾(آل عمران:٧٠) عندما يقول: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ﴾ هو تحدث كثيراً، أي: ذكر كثيراً حول كفرهم بآيات الله إذاً فلا تتوقع أنهم سيقدِّمون لك شيئاً يُعتبَر إيماناً بآيات الله ودعوة إلى اهتداء بآيات الله أبداً، وهذا فيه عتاب لهم كيف يكونون هكذا: أن يكفروا بآيات الله ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ وأنتم تعلمون: أنتم تعلمون آيات الله، وتعلمون رسل الله، فكيف تكفرون؟! لا ينبغي لمثلكم أن يكون كافراً وهو يعرف.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تشهدون آيات الله، شهدوها أيام عيسى، ألم يقل هناك: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيرًا بِإِذْنِي﴾(المائدة:١١٠) وهنا قال في نفس هذه الآيات: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ﴾(آل عمران:٤٩)؟ آيات يشاهدونها ومع هذا يكفرون بها، آيات يشاهدونها في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومع هذا يكفرون بها، آيات ولا تزال قائمة يشاهدونها إلى الآن، ومع هذا لا يزالون كافرين، فهي تمثل آية من آيات الله ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ﴾(آل عمران:٥٥)

هل يستطيع اليهود أن يَظهروا يهوداً فيحكمون أمريكا مثلاً أو بريطانيا أو أيَّ دولة أخرى يحكمونها كيهود داخل بلدان النصارى؟ مهما بلغ نفوذهم لا بُد أن يكون فوقهم نصراني مهما كان الأمر!

أليست هذه تُعتبَر آية؟ فعلاً تُعتبَر آية هامة آية لنا ولهم، آية لنا نعرف أن آيات الله كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(فصلت:٥٣) نفوذهم كبير في أمريكا ولم يستطيعوا أن يحكموها علناً فيكونوا فوق مَن هم محسوبون كأتباع لعيسى.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:٧١) من أسوأ الأشياء التي وصلوا إليها ويصل إليها أيُّ أناس يبتعدون عن هدى الله أن يكون عملهم إضلالاً، عملهم لبس الحق بالباطل وكان المفترض أن يكونوا هداة، ويُبيِّنوا الحق للناس، أليست هذه تُعتبَر خسارة على الإنسان؟ بدل أن يكون هادياً إلى الله وهادياً لعباد الله إلى الحق ومبيناً للحق وإذا به ماذا؟ وظيفته أن يَلبِس الحق بالباطل ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذه جريمة كبيرة، وهذه تدل على خبث شديد جداً في النفوس التي تكون بهذا الشكل.

لَبْس الحق بالباطل هو ماذا؟ اعتبره (الاستراتيجية) التي يقوم عليها التضليل قضية أساسية في التضليل: لَبْس الحق بالباطل عندما يقول مثلاً (تحرير) أليس هذا يبدو عنوان حق؟ لكن هناك باطل، تلبيس لِمَا يأتي من جهة الله سبحانه وتعالى هكذا لبس الحق بالباطل يكون الضحية مَن؟ عامة الناس البسطاء من الناس.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾(آل عمران:٧٢) لاحِظ الآن مثلاً من أمثلة التضليل من أمثلة لبس الحق بالباطل كيف يعملون خداعاً وتضليلاً رهيباً ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: قالوا للآخرين: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وعلى المسلمين معه ﴿آمِنُوا بِالَّذِي﴾ أي: بهذا الدِّين ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أول النهار إلى الظهر ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(آل عمران:٧٢).

يريدون أن يجعلوا الآخرين ممن قد أسلموا يكفرون، يقولون: (ربما أننا غالطون عندما أسلمنا، انظرْ هؤلاء أسلموا، ولم يكن لديهم تعصب أو أشياء من هذه، أسلموا، وبالتأكيد أنهم لم يرجعوا إلاّ لأنهم عارفون أن هذا الإسلام غير صحيح) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(آل عمران:٧٢) أليس هذا خداعاً؟ فعندما يُقدَّم الخداع على هذا النحو تُعتبَر أنت أمامك موقف: أسلوب من أساليب الخداع قد يكون في زماننا منطق فيه: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قد يكون في زمنٍ آخر عبارات أخرى.

لكن لاحِظ كيف كان الإسلام في نظامه وفي مجال بنائه للأمة حكيماً بشكل رهيب، أليس هناك تفكير في موضوع كيف يردون الناس واختراقات يعملونها؟ في الأخير تفشل؛ لأن بناءهُ البنية التنظيمية داخل الإسلام بالشكل الذي لا يمكن أن يُخترَق، أبداً. يتآمرون يعملون كيف ما يريدون يُقدَّم يهودي يُسلم سيبقى هناك في الشارع يمكن أن يخدع آخرين من البسطاء لكنه لا يصل إلى موقع قرار ويضرب أمة في ظل المسيرة الصحيحة التي تسير على ماذا؟ على الرؤية الإسلامية الصحيحة في عملية بناء الأمة وهيكلية بناء الأمة.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾ آخر النهار ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(آل عمران:٧٢) ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا﴾ بصدق، أي: هذه عملية خداع: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ الله رد عليهم ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾(آل عمران:٧٣) فيجب أن يكون الناس جميعاً مسلمين لله ويسيرون على هداه، لستم الذين تتحكمون في هدى الله وتقدِّمونه على ما تريدون أنتم. ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ كأن هذا ما زال من كلامهم مثل ما قال في آية أخرى ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾(البقرة:٧٦) هذه شبيهة بها: ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٧٣) هنا يبيِّن داخل مقولتهم ردّ بعد أول فقرة وردّ بعد ثاني فقرة ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فالهدى هدى الله والفضل هو بيد الله ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فهو الذي آتى محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وآتى من آمنوا به هو بيده كما أعطاكم سابقاً، ليس هناك تحجُّر على ما بيده سبحانه وتعالى من جهة الناس وبيده ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(آل عمران:٧٣).

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾(آل عمران:٧٤) وهنا يقرر أن الأمور بيده، وأن له الحكم وله الأمر هو سبحانه وتعالى، وهو الذي يأتي بالهدى هو والفضل هو بيده والرحمة هي منه ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(آل عمران:٧٤) هنا هو يرفع القضية عن مقاييس شخصية أو مقاييس قومية مُعيَّنة، لا، القضية هكذا: أن الأمور بيد الله، يجب التسليم له والنظرة إلى الأشياء باعتبار ما فيها من مظاهر أنها من عند الله فقط، هذا

الدور هنا، فعندما يقول: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ هدى الله هناك علامات على أنه من عند الله فاستجيبوا له، اتركوا مقاييس من عندكم: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾(آل عمران:٧٣) علامات أن هذا هو من فضل الله، أن هذا موضع رحمة الله؛ لأن الإنسان عندما يكون مسلماً لله ومؤمناً بأن هذه الأشياء كلها يختص بها الله وهي بيده فيجب عليه فقط أن يعرف بأنها من عند الله، أي: مهمته تتمثل بأنه فقط يريد أن يعرف أنها من عند الله ويُسلِّم لله سبحانه وتعالى.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(آل عمران:٧٤) لاحِظ هنا أنه يأتي بالعبارة التي تعني: أن الأمور بيد الله وأنه يجب أن يكون هناك تسليم لله سبحانه وتعالى، أليست هذه تأتي في مقابل ما يُقدَّم كقومية مُعيَّنة أو مقاييس بشرية مُعيَّنة؟ كلها يجب أن يترسَّخ في مقابلها تسليم لله هذه القضية يحتاج إليها المسلمون لنفوسهم.

هذه القضية يحتاج إليها المسلمون تجدها منهجاً أو شبيهاً بالمنهج في كل مقامات هي ماذا؟ منطلقاتها طائفية منطلقاتها قومية منطلقاتها مقاييس بشرية ينفيها بأن: ﴿الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ يأتي بحديث التسليم لله في مقابل هذه: أن الأمور بيد الله، الهدى هدى الله، الرحمة بيده يختص بها من يشاء، الفضل بيده يؤتيه من يشاء، أليست كلها تعني عبارات التسليم لله؟ أي: لم يأتِ الموضوع على أساس أن تجد أمامك فئة مُعيَّنة فتحاول أن تؤقلم نفسك معهم أو ماذا؟ أو كما يقولون: (نعمل لقاءات، أنت تتنازل من هناك، وأنا أتنازل من هنا، ونعمل توليفة مُعيَّنة) أبداً، يشخِّص ما لديه من منطلقات فئوية كما يسمونها، لا، القضية التي يجب أن نسير عليها نحن جميعاً هي: التسليم لله؛ لأن هذا نفسه له إيجابية هامة وليس فقط موضوع عبادة فقط، له إيجابية هامة في موضوع التقاء الناس؛ لأنك تقدِّم ما لديك وهو هدى الله، والتسليم لله، ليس هناك عناوين أخرى على الإطلاق وهو يرى نفسه هناك يُقدِّم أشياء من عنده ومقاييس من عنده. هدى الله يكون بالشكل الذي فيه ما يحجه، فيه ما يجعل موقفه ضعيفاً، عناده يكون في الأخير بالشكل الذي يهيئ له أن يُضرَب، أليس هذا سبق في الآية السابقة ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾(آل عمران: ٦٣)؟

التهديد جاء في آيات كثيرة، أي: هذه تعطي الناس قاعدة عامة، إذا انطلقت أنت كفئة ناسياً أن الموضوع على هذا النحو لا تدري إلاّ وقد صرتَ تقدِّم توليفة مُعيَّنة، تنازلات من هنا وتنازلات من هناك، ونحاول أن نُقدِّم أشياء مشتركة أشياء لا تصح أن تكون هدى ولا يمكن أن تكون حتى قابلة للدوام لا تكون قابلة للدوام؛ لأنك لا تزال تتمنى في واقعك أن تكون الأمور أحسن من تلك، وذلك في واقعه يتمنى أن تكون القضية أحسن مما هناك مما قد قُدِّم على أساس أنه رؤية مشتركة نسير عليها جميعاً، فموضوع التسليم لله يكون هو بالشكل الذي يكون الناس أقرب إلى أن يلتقوا عليه إذا كان هناك من يقدِّمه.

لاحِظ لَمَّا كانت هذه القضية هامة في مواجهة الدعوات التي من هذا النوع: الدعوات القومية، الفئوية، العناوين التي تصبح عناوين قومية تجعل الدِّين عناوين قومية يأتي بالرد داخلها، ألم يرد داخلها؟ قال هناك: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾(آل عمران:٧٣) أليس هذا رداً إلى كيف يكون هناك تسليم؟ ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ أي: فضل، أليس هذا فضلاً؟ ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(آل عمران:٧٣، ٧٤).

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيكَ وَمِنْهُم مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيهِ قَائِمًا﴾(آل عمران:٧٥) فهذه قضية أساسية، أي: أن هذا القرآن الكريم ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أليست هذه الدعوة هي دعوة تسليم لله؟ يجب أن تكون هي أيضاً متجلية في موقفك من الآخرين، ليست مواقفك من الآخرين مواقف شخصية، مواقف قومية، مواقف إقليمية، وأشياء من هذه، أبداً، هنا بعد الحديث الكثير عن أهل الكتاب، ألسنا نجد داخله دعوة لهم أن يؤمنوا؟ نجد داخله آيات تقول إنهم إذا آمنوا سيكونون مثل بقية الناس والله غفور رحيم.

يذكر هنا بأن فيهم أناساً لا يزالون جيدين سابقاً، أي: في تاريخهم يحكي ولو من أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيكَ وَمِنْهُم مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيكَ﴾(آل عمران:٧٥) ألم يُقدِّم هنا نوعية لا يزال لديها قيم مُعيَّنة؟ موضوع الأمانة هناك أفراد لديهم أمانة، أنك لو أمنته على قنطار لأدى الأمانة ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيكَ﴾ قنطار من الذهب ﴿وَمِنْهُم مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيهِ قَائِمًا﴾ متابع وراءه أو تكون بالشكل الذي يعتبرك قضية ضاغطة عليه وإلاّ ممكن أن يضيع دينارك.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ هنا يُبيِّن أيضاً أثر العقائد الضالة كيف أنها تؤدي في الأخير إلى ماذا؟ عقائد يستحل بها أموال الآخرين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيسَ عَلَينَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾(آل عمران:٧٥) ليس علينا حرج وليس علينا جُناح بأن نأخذ حقهم! فقط إذا كنتَ تتابع وراء حقك وتخرجه منه وإلاّ فلديه مذهب أنه حلال.

فيها أيضاً أن يفهم الناس – لأن هذه من الإشكاليات – الكثير من الناس يظنون أن الهدى والضلال في مجال عقائد هناك! لا، إنه في الأخير يصل إليك إلى أموالك أنت وإلى نفسك أنت وإلى عرضك أنت، لاحِظ كيف انتهى الضلال، ضلال وصل إلى أين؟ إلى أن قد أصبح لديهم عقائد تستحل أموالك، أليس هذا ضراً كبيراً وصل إلى أموالك؟ يفهم الناس أن الهدى هو بناء لهم لأنفسهم ولحياتهم وتنمية حتى لأموالهم وسلامة لأموالهم وحقوقهم وأعراضهم بينما الضلال في الأخير ينتهي إلى ماذا؟ استباحة للأعراض والأموال والدماء، فهذه فيها تذكير للناس؛ لأن المشكلة الكبيرة جداً ألاّ تكون كلمة ضلال تخيفهم، يظنون أن الضلال: أن ذلك قال كذا، وذلك قال كذا، والحق أنه هكذا، هناك في الهواء! لا، الضلال ينزل إلى الأرض يصل إلى حقوقك إلى أموالك إلى دمك فإما أن يكون هناك هدى يصونه ويرعاه ويحافظ عليه أو ضلال يستبيحه، ليهتم الناس وليستشعروا خطورة الضلال عندما يكونون فاهمين أن الضلال يصل إلى أضرار في كل شيء له علاقة بهم أموالهم أعراضهم نفوسهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيسَ عَلَينَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ ﴿قَالُوا﴾ قد أصبحت مسألة: (مسألةٌ)! مذهب قد عملوه: ﴿لَيسَ عَلَينَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:٧٥) هذه من الأشياء الغريبة جداً فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إذاً فهو سيحاول كيف يحتال بأن يأخذ مالك ثم قد صار لديه فتوى لنفسه بأنه حلال إلا إذا كنتَ وراءه تريد أن تخرج حقك بالقوة منه.

﴿بَلَى مَنْ أَوفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران:٧٦) بلى هناك سبيل، وهناك مؤاخذة، فالذين ليس عليهم سبيل هم مَن؟ ﴿مَنْ أَوفَى بِعَهْدِهِ﴾ الأمانة هي عهد، عندما يأتمنك إنسان يجب أن تؤدي إليه ما ائتمنك عليه ﴿وَاتَّقَى﴾ عقوبة الخيانة وعقوبة هذه المسائل التي تؤدي في الأخير إلى استحلال لأموال الناس.

الآن لاحِظ أليسوا يتحيلون لِمَا في البنوك الغربية بعدة دعاوى أنك – مثلاً – تدعم منظمات إرهابية تجمَّد أموالك، يحاولون أو قد عملوا – فعلاً – قانوناً فيه مصادرة: أن يصادروا الأموال، وقرأنا في صحيفة في موضوع (القات) أن لديهم توجهاً إليه بأنه يبدو أنه يمول الإرهاب! نشرته صحيفة (الشموع) حول تمويل الإرهاب، عناوين من هذه، يحاولون أن ينهبوا أموال الناس بعناوين مُعيَّنة، إمَّا أن يكون هناك استحلال لِمَا لديهم أو استحلال لضربها واستباحة لماذا؟ لإنهائها وضربها!

تلاحِظ هنا في هذه المسألة أنهم يَعتبِرون أنفسهم أنهم أهل كتاب أهل دين ويَعتبِرون الأميين مشركين، ألم يكن العرب بهذا الشكل، أي: ظاهرة الشرك منتشرة لديهم؟ لكن لا، في مجال التعامل على هذا النحو يأتمنك أحد مهما كان فلا يجوز لك أن تأخذ حقه؛ ولهذا ألم يذكروا أن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عندما هاجر كان لديه ودائع؟ هل كانت تلك الودائع التي لديه للمسلمين؟! ودائع آخرين لأنه شخص يثقون به ويعرفون نشأته بينهم إنسان أمين، هل عمل لنفسه فتوى أن يأخذها ويذهب إلى المدينة؟ أبداً. عندما يأتمنك إنسان مهما كان على شيء من أمواله فعليك أن تؤديها إليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾(آل عمران:٧٧) وكأنه فيما عهد الله إليهم فيما يتعلق بحقوق الآخرين بأموالهم؛ ولهذا قال: ﴿بَلَى مَنْ أَوفَى بِعَهْدِهِ﴾(آل عمران:٧٦) بما عهد الله إليهم في تشريعه الذي شرعه لهم فيما يتعلق بحقوق الآخرين، لكن اشتروا بآيات الله بما عهد الله إليهم ثمناً قليلاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ يستبدلون بعهد الله الذي عهد به إليهم ﴿وَأَيمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ لا نصيب لهم ولا حظّ لهم في الآخرة ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيهِمْ يَومَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(آل عمران:٧٧) نعوذ بالله.

إذاً فهذه النوعية التي يحاولون الآن أن يكون الناس سمحين معهم ويقبلوهم ولا يعملوا أشياء تنفرهم، هي هذه، أليست هذه أوصافاً – فعلاً – تجعل الإنسان يشمئز؟ أوصاف مقززة جداً بالنسبة للنظرة إليهم. وكيف نظرة الله إليهم؟ ﴿أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيهِمْ يَومَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(آل عمران:٧٧) هذه النوعية التي يريدون ماذا؟ أن نقبلهم عندما يقولون: (القبول بالآخر، وكان رسول

الله كذا، وكان المسلمون كذا) وكلام كثير يأتي حول اعتدال وتسامح ووسطية وأشياء من هذه! يُحرِّفون الدِّين من أجل أن نقبل هذه النوعية السيئة!

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾(آل عمران:٧٨) لبس الحق بالباطل وتحريف لكتب الله وتحريف متعدد الأنواع ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾(البقرة:٧٩) وما هو من عند الله. وهنا ﴿يَلْوُونَ﴾ في إطار حديث أو نحوه يدخلونها وكأنها من كلام الله ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ عندما تسمعهم يقرؤون التي يسمونها (إصحاحات) من الإنجيل يقرؤها ويلحنها وفيها طامَّات كبيرة من عندهم هم وهو يلحنها مع الذي بقي من الإنجيل ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يقدِّمها على نمط تقديمه لشيء من الكتاب ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:٧٨).

لاحِظ كم تكررت هذه عنهم: وهم يعلمون، وهم يعلمون، وهم يعلمون! أي: أن تعرف أن هذه نوعية يجب أن تكون حذراً جداً في التعامل معها، يجب أن تكون حريصاً على أن تواجهها فعلاً، وليس أن تحاول أن تتأقلم معها وتحاول أن تمهد قابلية لها في أوساط الأمة. وردت كثيراً كلمة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(البقرة: ٧٥) ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:٧١) أليست هكذا؟ ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:٧٨).

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي: يكذبون في مسائل يُقدِّمونها ليستحلوا بها أموال الآخرين يكذبون فيها ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ينسبونها إلى الله وإلى دينه وهم يعلمون بأنها كذب ويحرفون كتبه بألسنتهم وبدعاوى، أي: أثناء حديثه بها يقدِّمها على نمط تقديمه لأشياء هي من كتب الله ليخدعك لتحسب أنها في الكتاب وما هي منه وما زال يدَّعي أنها من عند الله وليست من عند الله ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:٧٨) إذاً فهل يمكن أن تكون هذه فئة تطمئن إليها تثق بمعاهدات بينك وبينها بمواثيق بينك وبينها؟ لا يمكن أبداً.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٧٩) لا ينبغي لمن أوتوا الكتاب أن يكون هذا حاصلاً منهم. على ما قلنا سابقاً في موضوع أهل الكتاب وأوتوا كتاب، أنها تكون أحياناً بالمعنى الخاص وأحياناً بالمعنى العام مثل: ﴿أُنزِلَ إِلَينَا وَأُنزِلَ إِلَيكُمْ﴾(العنكبوت:٤٦) فمن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة فلا يحصل هذا من عنده على الإطلاق، مَن لديهم كتاب وأورثوا كتاباً يجب أن يكونوا على هذا النحو، لا ينبغي أن يكونوا بشكل آخر: أن يكونوا هكذا ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(آل عمران:٧٩) ربانيين: دعاة إلى الله، دعاة إلى الرب، أنتم في أنفسكم ودعوتكم للآخرين كلها إلى الله، وليس أن يجعل عباد الله عبيداً له من دون الله، يختلف المنهج: إمَّا أن تكون دعوتهم إلى الله ﴿رَبَّانِيِّينَ﴾ فيُقدِّمون ما يأتي من عند الله. وإمَّا أن تكون دعوتهم إلى أن يجعلوا الناس عبيداً لهم من دون الله، يقدِّمون ما هو من عند أنفسهم؛ لأن ما هو من عند الله لا يمكن أن يكون بهذا الشكل عندما تدعو بما هو من عند الله وتعلِّم الناس بما هو من عند الله لن يكون بالشكل الذي يجعلهم عباداً لك من دون الله على الإطلاق.

لهذا نحن نقول: إنه بعيد عندما يقولون: إن هناك أشخاصاً ألَّهوا الإمام علياً وادعوا ألوهيته وحرقهم على أساس أنهم أشخاص معجبون به! هذا غير صحيح إذا كانوا ممن يسمعون كلامه؛ لأن ما يقدِّمه الإمام علي هو بالشكل الذي يجعلهم عبيداً لله كما وجدنا من كانوا مختصين به كعمار بن ياسر ومالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر وأمثالهم، ألم يكن بالإمكان أن يُؤلِّهه هؤلاء لو كانت المسألة صحيحة؟ لكن ما يُقدِّمه الإمام علي هو عمل إنسان رباني، أي: يدعو الناس إلى الرب إلى الله سبحانه وتعالى ليكونوا عبيداً له، فلا يمكن أن تحصل هذه الظاهرة عند أناس معجبين به ويسمعون كلامه. أن تكون بطريقة أخرى مُحرَّفة، أي: أناس لم يسمعوه وليسوا حوله ولا يعرفونه وقدِّم لهم تحريف فهذه قد حصلت داخل النصارى فقدَّم المسيح رباً من دون الله، ألم يحصل هذا بتحريف؟ لكن مَن كانوا معاصرين للمسيح ويسمعونه كيف قالوا؟ ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(آل عمران:٥٢، ٥٣) أليس هذا كلاماً يعني عبودية لله؟

فمعنى هذا بأن من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة لا تحصل هذه من عنده على الإطلاق، فعندما يأتي النصارى يعملون كذباً لأنهم فعلاً عملوا عبارات قدَّموها على لسان المسيح بالشكل الذي ماذا؟ وكأنه يدعوهم

إلى عبوديته أو يُقدِّم نفسه رباً، هذه لا تحصل على الإطلاق ﴿مَا كَانَ﴾ لا يحصل هذا على الإطلاق، ولكن هكذا يكون عمله معهم وقوله لهم وتوجيهه لهم: أن يكونوا ربانيين ويجب على من أوتوا كتاباً بمعنى أن لديهم كتاب الله أوتوا الكتاب أوتوا الحكمة من جهة الله سبحانه وتعالى لأن الكتاب فيه حكمة يجب أن يكونوا على هذا النحو لا ينبغي لهم أن يكونوا خارجين عن هذا؛ لأنه حصل في داخل اليهود والنصارى باسم أنهم حملة كتاب، أحبارهم ورهبانهم يقدِّمون أنفسهم ليجعلوا الآخرين عبيداً لهم من دون الله؛ لهذا قال عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾(التوبة:٣١).

﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ يجب أن تكونوا ربانيين تدعون إلى الله ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(آل عمران:٧٩) تدرسون الكتاب وتطَّلعون عليه تتلونه.

﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾(آل عمران:٨٠) لا تحصل هذه: ما كان لبشر أن يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولا أن يقول عباداً لآخرين من ملائكة أو نبيين على الإطلاق، فعندما تجد دعاوى أخرى فاعرف بألاّ علاقة لها على الإطلاق بأنبياء الله مثل دعاوى النصارى: بأن المسيح رب. أنه لا يأتي من عنده أبداً، فأول كلمة قالها: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ لاحِظ هذه العبارة ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾(مريم:٣٠) أليست هذه كلها عبارات تعني أنه عبد لله ورسول من عند الله، الله هو الذي آتاه الكتاب، هو الذي جعله نبياً، هل يمكن للمسيح أن يجعل نفسه رباً والله هو الذي جعله نبياً؟ فهذه النوعية لا يحصل من عندهم – أبداً – الأشياء التي تجعل الناس عباداً لهم من دون الله أو أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً.

﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٨٠) لا يحصل هذا. هذه تُطَمئن، أي: مما يستفاد منها بالنسبة لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عندما يقول لأهل الكتاب: اتبعوني ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(آل عمران:٣١) وعندما يقول: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾(آل عمران:٣٢) لأنه قد يكون في ذهنيتهم أن المسألة تنافس على مقامات، هذه تحصل عند الناس: منافسة على مقام، أنه يريد أن يجعل الناس عبيداً له، ويريد أشياء من هذه! لا، هذه النوعية لا يمكن أبداً أن يدعو الناس إلى أن يكونوا عبيداً له من دون الله ولا أن يكونوا عبيداً لآخرين على الإطلاق.

هذه تحصل حتى داخل المسلمين أنفسهم؛ لأنه أحياناً متى ما حصل ثقافة مُعيَّنة فيبدو وكأن حركة الناس كلها منافسة على مقامات، ويكون كل واحد يريد أن يُكبِّر نفسه، فيأتي أحد – مثلاً – يهدي إلى الله فينظرون إليه نفس النظرة: أنه يريد أن يُكبِّر نفسه فقط، يجمع له أتباعاً، ويجمع له أصحاباً مثلهم هم! وفق النظرة القائمة لديهم.

لأن بعض الناس يكون عنده نظرة مغلوطة بالنسبة لواقع هذه الحياة، وأحياناً يصبغونها بصبغة شرعية، أحياناً يصبغونها بصبغة دينية، بأنه يجمع له أصحاباً هو هو وقد صارت تُعتبَر عبادة لهم أنهم ماذا؟ يعظمونه ويجلونه ويقدسونه وهو هناك! يقول لهم: لا، هو لن يكون عمله كعملكم؛ لأنه لا يمكن أن يدعو الناس لأن يكونوا عبيداً إلاّ لله، لا أن يعبدوه هو، ولا أن يعبدوا أنبياء، ولا أن يعبدوا ملائكة، ولا يعبدون إلاّ الله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾(آل عمران:٨١) لاحِظ أن الأنبياء السابقين يؤخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا فيما إذا جاء نبي أن يؤمنوا بالأنبياء الذين سيأتون، والأنبياء المتأخرون يؤخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بالأنبياء الذين قد مضوا. وهذه هي طريقة من أوتوا الكتاب والحكم كما قال الله، أي: هذه النوعية لا يمكن أن يحصل من جانبها ما يعبِّد الناس لها، بل تراها هي يؤخذ عليها الميثاق أن تؤمن بمن لم يأتِ بعد: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ أن يكون لديهم إيمان بأنهم مستعدون أن يؤمنوا بذلك الذي لم يأتِ بعد، لئن جاء نبي من جهة الله أن يؤمنوا به وينصرونه، أي: أن يكونوا أتباعاً له. فهل هؤلاء يمكن أن يكون لديهم نفسية: أن يجرجر الناس له ليكونوا عبيداً له من دون الله؟!

بل فيها ما يكشف أهمية الإيمان بوحدة المسيرة الدِّينية أنها مسيرة واحدة السابق يؤمن بمن سيأتي ومن يأتي يؤمن بالسابق، أي: أن هذه لها أثر مهم فيما يتعلق بحركة الناس فيما يتعلق بإيمان الناس يجب أن يكون لديهم هذه النظرة؛ ولهذا أوجب على المؤمنين فيما تقدَّم في أكثر من آية أن يقولوا ماذا؟ ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَينَا وَأُنزِلَ إِلَيكُمْ﴾(العنكبوت:٤٦) ويأتي بقائمة من الأنبياء، يذكر: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَينَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ...﴾(البقرة:١٣٦) إلى آخر القائمة من الأنبياء. ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَبِّهِ

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ﴾(البقرة:٢٨٥) قضية مؤكدة؛ لأنها في نفس الوقت لها علاقة بالإيمان بملْك الله، بألوهية الله، وأن الله هو مَلِك الناس ومَلِك السموات والأرض وما فيها وما بينها هو الذي فطرها ثم ماذا؟ هو ملكها وإلهها على طول هذا التاريخ الطويل القرون المتعاقبة، ليس معناه فقط من الآن بدأ يبعث رسولاً وينزل كتاباً وإلاّ فهو كان مهمِلاً للبشر على طول التاريخ، أبداً.

الإصر هنا: كأنه الثقل، أي: كأنه ميثاق فيما لو أخلوا به يحصل عقوبة مُعيَّنة مثلما يأتي أحد يقول: (هو ملتزم بكذا وكذا، وأنه إذا خالف فهو مُتحمِّل كذا وكذا) أليست هذه تحصل عند أخذ المواثيق؟

﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(آل عمران:٨١، ٨٢) هنا يقول البعض في تفسيرها: إن معناه أن الأنبياء هم أخذوا من أتباعهم لئن جاءهم رسول - هذه القضية تتوفر من خلال المسألة من أساسها أنه عندما يكون النبي نفسه مُلزَماً - لئن جاء رسول ليؤمنن به وهذه حصلت: يحيى بن زكريا (عليهما السلام) نبي عندما بُعِث عيسى عليه السلام آمن به مثلما يقولون: إنهم كانوا - فعلاً - متعاصرين في زمن واحد فآمن به، فهذه ليست فقط أن نقول: إنما الأنبياء هم أخذوا على أتباعهم أن يكونوا مستعدين أن يؤمنوا بمن أتى من الأنبياء، هذه القضية مفروغ منها وثابتة، ويحصل الإيمان بها على درجة أعلى أن ترى أن النبي نفسه مُلزَماً بهذه فبالأولى غيره، أليس بالأولى غيره من الأتباع؟ لاحِظ كيف أخذ الميثاق هنا بعبارات: ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ أي: ميثاق دقيق في عملية أخذه منهم.

إذاً فليعرف اليهودي والنصراني نفسه بأنه بالنسبة لموسى وعيسى (عليهما السلام) أنهما ضمن هذا الميثاق، أنهما لو لحقا محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أو بُعث محمد في عصر أيٍّ واحد منهما أنه مأخوذ عليه الميثاق أن يؤمن به وينصره، عندما تعرف بأن نبيك نفسه لو لحق هذا النبي الذي تُدعَى إلى الإيمان به لآمن به هو ونصره، فكيف تتمرد أنت؟!

إذاً فهذا أبلغ فعلاً ﴿مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ ليس معناه أن الأنبياء أخذوا ميثاق الأتباع على قراءة: ﴿لَمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ (آل عمران:٨١) وكأن النبيين هم قالوا للأتباع: ﴿لَمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة، أن الله أخذ ميثاقهم لِمَا آتاهم وعلى أساس أنه آتاهم كتاباً وحكمة. ولها علاقة بالآية السابقة فيما يتعلق بأن هذا لا يحصل على الإطلاق أن تكون هذه الفئة تتخذ الناس عبيداً لها من دون الله، بل تراهم أُخِذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بمن لم يحصل بعد فيما لو جاء أن يكونوا أنصاراً له وأتباعاً له، يؤمنون به وينصرونه.

فعندما يقول النصارى لنا: (ألستم مؤمنين بموسى وعيسى؟ إذاً أنتم مؤمنون بموسى وعيسى كأنبياء ونحن لسنا مؤمنين بمحمد) قد حصل جواب في هذا من آخرين بأننا ما عرفنا موسى وعيسى إلاّ من خلال محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ثم حقيقةً (موسى وعيسى) لكن انظر إلى موسى وعيسى أُخِذ عليهما ميثاق هما، أنت يجب عليك أن تؤمن بمحمد؛ لأن نبيك نفسه الذي تدَّعي بأنك من أتباعه وأنك تنتمي إليه هو نفسه مأخوذ عليه ميثاق أنه لو عاش إلى زمن محمد لآمن به ونصره. ليس معناه بأن تقول: (إذاً فعلاً هو أننا ملتقون على موسى وعيسى) موسى وعيسى ملزمون بأن يؤمنوا بمحمد قبل أن يأتي، ولو أن أحداً منهما عاصره أو عاش إلى زمنه لكان واجباً عليه أن يؤمن به وينصره.

إذاً فأنت يجب عليك أن تؤمن به وتنصره، ليس لديك عذر أبداً، هذه قضية قد يحتاج إليها الناس؛ لأنهم يقدِّمون هذه كمسألة يقولون: (نحن متفقون على أن موسى وعيسى أنبياء ومختلفون معكم على أن محمداً نبي، إذاً فلنكن جميعاً على ما نحن متفقون عليه ونترك ما نحن مختلفون فيه) شُبهة يحاولون أن يقدِّموها. النصارى هم يقدِّمون موضوع موسى وعيسى، أمَّا اليهود فهم فقط يقدِّمون موضوع موسى؛ لأنهم كافرون بعيسى.

﴿فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(آل عمران:٨٢) البعض يستبعد أن تكون خطاباً للأنبياء لأن فيها هكذا ﴿فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ليس معنى هذا إلحاقاً بالأنبياء أنهم فاسقون ﴿مَن تَوَلَّى﴾ من تولى وهم ليسوا متولين، ولم يتولوا: لم يعرضوا، هذا تأكيد للمسألة، ألم تأتِ عبارة أكثر من هذا: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(الزمر:٦٥)؟

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾(آل عمران:٨٣) إذاً فهذا دين الله، الدِّين الواحد المترابط هكذا السابق يؤمن باللاحق واللاحق يؤمن بالسابق مسيرة واحدة، أي: يقفل مجال التجزئة؛ ولهذا يقول: ﴿لاَ نُفَرِّقُ﴾ يقفل مجال التجزئة في المسيرة الدِّينية. في الأخير يقول: (هذا لنا، وذلك لكم، وهذا لآل فلان) ثم يكون المطلوب أن يؤمن كل

واحد بما عند الآخر فقط، نصارى هناك، ويهود هناك، ومسلمون هناك، يقال للمسلمين فقط أن يكونوا بهذا الشكل، يقدِّمون القضية للمسلمين.

﴿أَفَغَيرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ دين الله الذي هو الإسلام أفغيره يبغون: يطلبون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَينَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٨٣، ٨٤) لا يأتي كل نبي ويكون معه جزء من الدِّين يختص به حتى تحصل هناك تفرقة أبداً ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(آل عمران:٨٥) غير الإسلام لله الذي قدِّم في الآيات السابقة كثير من مظاهره، وسيأتي بعد كثير من مما يُعتبَر من مظاهر الإسلام لله، بل في حركة مَن هم يعتبَرون مسلمين لله ودعاة للناس أن يكونوا مسلمين لله أنه قدَّمها أيضاً شخّصها بشكل متميز ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٧٩) إلى آخر الآية. فعلى أساس وحدة الدِّين أنها مسيرة واحدة من عند الله وعنوان الدِّين هو الإسلام، هو الإسلام لله الذي البشر كلهم مُلزَمون أن يدينوا به ويكونوا عليه يسلِّمون أنفسهم لله ويقبلون ما جاء من عند الله سبحانه وتعالى وما دعاهم إلى أن يدينوا به ويلتزموا به؛ ولهذا قدَّم عليها – مثلما نقول –: (إعلان عقائدي) هو ماذا؟ هو مترتب على ما قدَّمه من نظرة إلى الدِّين كدين واحد ومسيرة واحدة.

﴿قُلْ﴾ بناء على هذا كله وفي مواجهة من يجزؤون ويفرقون بين الله ورسله ويفرقون بين الرسل ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَينَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ﴾ لله سبحانه وتعالى ﴿مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٨٤) ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(آل عمران:٨٥) يُقدِّمون اليهودية ديناً لا تقبل، يقدِّمون النصرانية ديناً لا تقبل تلك التجزئة (هذا لنا، وهذا لكم، وهذا نبيكم!) مثلما قال سابقاً عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَينَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾(البقرة:٩١).

هذه أيضاً تشمل حتى داخل المسلمين ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلاَمِ دِينًا﴾ هم طوائف متعددة وكل واحد متمسك بما هو عليه. يجب أن يرجع الجميع إلى ما هو فعلاً يمثل إسلاماً لله؛ لأن ما يُعتبَر خارجاً عن هذا هو في الواقع يمكن أن يسمى ديناً باعتبار أنه شيء أصبحوا يدينون به لبعضهم بعض وأعطوه عنوان دين، كلمة (دين) تشمل ما هو دين من عند الله، وما هو من عند غيره، بالنسبة لكلمة دين يقال لها دين حق ودين باطل دين من عند الله ودين من عند آخرين بمعنى منهج قام عليه التعامل فيما بينهم وتثقفوا به وأصبحوا يدينون به سواءً يدينون به لله، أو يدينون به لبعضهم بعض، يتعاملون على أساسه مع الله، أو يتعاملون على أساسه مع بعضهم بعض، يسمى ديناً لكن ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

لأن معنى هذا حالة خطيرة عندما يكون – مثلاً – كثير من الطوائف هي في الواقع برمجت وضعيتها وقُدِّم لها أشياء لم تعد تمثل الإسلام لله بما تعنيه الكلمة، معناه في الأخير لن يُقبَل منها ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ناهيك عمَّا عند اليهود والنصارى وصابئين وبوذيين وطوائف أخرى، كم يا طوائف في هذه الدنيا! ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(آل عمران: ٨٥).

﴿كَيفَ يَهْدِي اللَّهُ قَومًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ هذا سيصبح في الأخير هو البديل متى ما خرج الناس عن الإسلام لله عن دينه الذي دعاهم إلى أن يدينوا به، هُداه الذي دعاهم إلى أن يهتدوا به، تشريعه الذي نزله ليلتزموا به، متى ما حصل خروج عنه فما هو البديل هنا؟ كفر بعد إيمان ﴿كَيفَ يَهْدِي اللَّهُ قَومًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَومَ الظَّالِمِينَ﴾(آل عمران:٨٦) هذه من الآيات الخطيرة بالنسبة للبشر جميعاً يهود ونصارى بل وطوائف داخل المسلمين أنفسهم؛ لهذا نقول: إنها قضية غريبة نندهش منها فعلاً، تجد في القرآن آيات واضحة وصريحة تمثل هدى ولا يهتدون بها؛ لأنه يوجد هناك طريقة يوجد هناك برنامج مُعيَّن قد قدِّم أنه هو الدِّين يكون في الأخير يعتبَر كفراً بالدِّين الحقيقي فلم يعد يحصل هدى ﴿كَيفَ يَهْدِي اللَّهُ قَومًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ لذلك لم نعد نهتدي بالقرآن، لماذا لا نهتدي بالقرآن وهو بلغتنا، وآياته واضحة فيها هدى؟ – فعلاً – كلنا حقيقة سُنة وشيعة يوجد أخطاء.

تجد أن في القرآن آيات صريحة واضحة تمثل هدى، لكن لم يعد الناس طبيعيين بل أصبحوا مُبرمَجين على

أساس ثقافة أخرى تقدَّم هي بديلاً عمَّا يجب أن يكون عليه مما يُعتبَر تسليماً لله يمكن أن تحصل مع إيمانه وشهادته بأن الرسول حق ومع إيمانه بأن القرآن حق ولم يعد يهتدي؛ لأن إيمانك بالله تعرف أنه في الأخير هو المختص بالهدى، هو المختص برسم طريقة الهدى، أنت واجبك أن تكون مُسلّماً لله، أن تعرف بأنه يقول لك: هذا صراط مستقيم، هذا سبيل، هناك طرق انتبه لا تكن كذا أو كذا، أليست هذه القضية قدِّمت في القرآن؟ أي: أن هذا فرع على إيماني بالله، أنت مؤمن بالله؟ إيمانك بالله يقوم عليه هذا الشيء: أن تعرف أن الدِّين من عنده، الهدى من عنده، الطريقة من عنده؛ وفي الأخير تسلِّم، أن تعرف بأن الرسول نفسه هو في نفس الطريقة لا يمكن أن تقدِّمه رقماً آخر هناك، ألم يقدِّموا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) رقماً ثانياً هناك؟ ولهذا مثلاً يقولون عندما يقدِّمون حديثاً حتى وإن بدا معارضاً ومخالفاً للقرآن يقولون: لا بُد أن نقبله رسول الله قاله! ألم يقدِّموه هناك؟

تجد هنا إيماناً بالله وإيماناً بالرسول لكن ما يقتضيه هذا الإيمان من تسليم ومن رؤية صحيحة إلى الرسول نفسه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه رجل قرآني، أنه ضمن هذه المسيرة وليس رقماً آخر؛ ولهذا قلنا في الآيات السابقة[1] إنه جاء في آيتين مما تؤكد مزج ما بين الكتاب والرسول في الحديث عن بني إسرائيل ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(البقرة:٨٩) ذكر كتاباً وجاء بكلام هو يُعبِر عن موقفهم مع النبي كانوا يقولون للمشركين إنه سيكون هناك نبي نقاتلكم معه، وننتصر عليكم معه، ثم يذكر في مقام آخر الرسول ويذكر الكتاب بعدها بعدة آيات[2] في سياق واحد يذكر في البداية الرسول ثم يذكر الكتاب بعده.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(آل عمران:٨٦) هذه الآية خطيرة جداً ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ لكن حصل شيء آخر يمكن أن تكون مسألة الكفر؛ لأن الكفر ليس معناه إعلان تمرد هكذا، يمكن أن يكون كفراً مفلسفاً، تعرفون هذه؟ كفر مفلسف، أي: يكون في إطار ثقافة مُعيَّنة يُقدَّم وكأنه دين، يُقدَّم في الأخير ديناً لله.

إذاً هذه الآية تنسف أيَّ تساؤلات قد تحصل عند أحد منا بأنه (كيف يمكن أن يكون جيل مُعيَّن أو أناس على مدى قرون مُعيَّنة أو أشخاص يبدون كباراً سواءً داخل هؤلاء أو داخل هؤلاء؟! كيف؟!) لا، متى ما حصلت غلطة من البداية تتنافى مع ما يقتضيه التسليم لله فيمكن أن يكون هناك إيمان في الصورة هكذا وشهادة بأن الرسول حق وبينات ولا يهتدي، بمعنى أنه يجب أن يتبنى الناس هذه القضية، أي: أن أهم قضية هي التسليم لله، معرفة الله سبحانه وتعالى، ونعرف ما يترتب على معرفته بالنسبة لنا كيف نكون مسلّمين له، وماذا يعني التسليم له، ومظاهر التسليم له، وإلاّ في الأخير قد يكون الإنسان يدين لله بغير الإسلام.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾(آل عمران:٨٧، ٨٨) لاحِظ هذه اللعنة ألم تسبق مع فئة مَن يكتمون آيات الله؟ مما يُعتبَر مظهراً من مظاهر عدم التسليم لله فيتحرك وفق ما أمره الله، أن يؤدي المسؤولية التي حمَّله الله أن يؤديها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾(البقرة:١٥٩) إذاً كيف كان يجب أن تكون هنا إذا كنتَ مسلّماً لله؟ أن تُبيِّن هذه البينات التي أنزلها الله في الكتاب - الذي تدَّعي أنت بأنك تعلمه - تبينها للناس، هنا حصل ماذا؟ شيء يخالف التسليم.

﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾(البقرة:١٥٩، ١٦٠) هنا يقول: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾(آل عمران:٨٧، ٨٨) لعنة مستمرة إلى جهنم، لاحِظ كيف عبر بجهنم عن اللعنة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(آل عمران:٨٩) نفس النهاية التي انتهت بها الآية السابقة.

إذاً فعندما يُقدِّم من هم حملة لكتاب الله يُقدِّم أشياء أخرى، أي: يكتم ثم يُقدِّم أشياء أخرى، أليس يُقدِّمها باسم دين؟ مبررات مُعيَّنة، أشياء مُعيَّنة، مقولات أخرى تُقدَّم باسم دين وينظر الناس إلى القضية وكأنها رؤية دينية! هنا صار يُقدِّم غير ما يجب أن يكون عليه وهو ماذا؟ الإسلام لله، والإسلام معناه: التسليم له،

---

(١) ذكره في الدرس الخامس من دروس رمضان.

(٢) هي قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِندِ اللَّه مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(البقرة:١٠١).

والتسليم له: أن تخضع له وتقبَل، أنت في هذا الموقع مسؤوليتك هكذا: أن تسلِّم، تؤدي مسؤوليتك، تنهض بمسؤوليتك، أنت عالم بكتاب الله، كتاب الله هو بينات وهدى للناس عليك أن تبيِّنه، وعليك أن تبيِّنه وفق الرؤية التي قدَّمها في مسألة التبيين – لا تفسرْه على كيفك وتؤقلم القرآن على كيفك أنت – هذا هو التسليم لله.

هنا يحصل كتم ثم يقدِّمون أشياء أخرى؛ لأن المسألة تحصل هكذا، لا أحد يخرج عن حق إلاّ ويُقدِّم ضلالاً ولا أحد يكتم حقاً إلاّ وفي نفس الوقت يُقدِّم بديلاً هو ضلال، هذا البديل عادة يُقدَّم بعنوان دين وإذا قد صار هناك لم يعد يمثل الإسلام لله، أليس معناه خروجاً عن الإسلام لله، عن التسليم لله؟ لأن الإسلام معناه: التسليم لله، فتجد كيف كانت نهاية الآية هنا تماماً كنهاية الآية السابقة التي قال فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(البقرة:١٥٩، ١٦٠) أليست نهايتهم هكذا؟ النهاية نفسها ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٨٧ - ٨٩) كلها عبارة عن مظهر من مظاهر عدم التسليم لله. من القضايا الأساسية في التسليم لله أن تعرف السُّنة الإلهية في موضوع الدِّين في موضوع الهدى تقبُّل الدِّين تناول الدِّين عن أي طريقة ومن أين، أن تقبلها وتسير عليها؛ لأنه هنا في القرآن رسم الطريقة تماماً.

عندما يقول أحد: (نحن مستعدون أن نعمل بكتاب الله وسنة رسوله) أليسوا يقولون هكذا؟ دعاوى تملأ الساحة (كتاب الله وسُنة رسوله) لكن وكل واحد يريد من عنده هو وعلى حسب ما طلع في رأسه وترجيحاته! فهنا لا يكون هناك تسليم بالقضية الأساسية: أن الله هو مَلِك الناس وتعرف ماذا يعني مَلِك؟ أليس هو هنا يُقدِّم في القرآن أن هذا هو جانب فقط من جوانب تدبيره لشؤون خلقه؟ الجانب التشريعي جانب الهداية جانب النظام هذا الذي يُقدِّم التوجيهات فهو يُقدِّمها عبارة عن ماذا؟ جانب واحد فقط من جانب تدبيره لشؤونه، ألم يذكر هناك: ﴿تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾(آل عمران:٢٧) بعدما قال سابقاً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾(آل عمران:٢٦)؟ هذا جانب أساسي هو مختص به.

هل قضية أن يولج الليل في النهار ويخرج الميت من الحي، ويخرج الحي من الميت قضية يحتاج إلى آخرين فيها باجتهاداتهم وأشياء من هذه؟ هو يتولاها هو، هو سبحانه وتعالى رسم السُّنة فيها، السُّنة في تدبيره التكويني، له سُنة أيضاً في تدبيره التشريعي (تدبير الهداية) لأنه قال: ﴿إِنَّ عَلَينَا لَلْهُدَى﴾ ألم يقل هكذا؟ ﴿إِنَّ عَلَينَا لَلْهُدَى﴾(الليل:١٢) ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾(النحل:٩) قضية يختص بها، فمن أول الغلطات أنه لا يحصل تسليم بهذه، هذه تكون من أول الغلطات الكبيرة.

لاحِظ أول ما حصل داخل المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لم يحصل تسليم بنفس هذه الطريقة عندما قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) وقال: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) ألم يأمرهم أن يتمسكوا بعلي؟ ليسيروا وفق السُّنة الإلهية في الدِّين، في الهداية، في التشريع، هنا هذه طريقتها، رفضوا التسليم فلم يأتِ بعده إلاّ ماذا؟ تقديم أشياء أخرى لم تعُد تمثل دين الله، ولم يعُد السير عليها يُقبَل ويُعتبَر إسلاماً لله، مثلما قال: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(آل عمران:٨٥).

يُقدَّم هدى الله بالنسبة للناس لمن يفهم عمق أشياء ويفهم بُعد أشياء (أبعاد مُعيَّنة، عمق مُعيَّن) وفي نفس الوقت يقال للآخرين البسطاء يخاطبهم أن يلتزموا، عبارة (يلتزموا، يطيعوا، يتبعوا) قضية معروفة عند الكل بما فيهم البسطاء فعندما يقول لهم جميعاً: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) هم عرب يعرفون تماماً ماذا يريد، ويعرفون تماماً ما هي المهمة المنوطة بهذا الشخص، وقال: ((علي)) وهناك في القرآن الكريم آيات كثيرة ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾(الأعراف:١٥٨) ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(النساء:٨٠) وهكذا أنه يجب عليهم ألاّ يعتمدوا على أيِّ رؤية من لديهم بعدما قضى الله ورسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(الأحزاب:٣٦) ألم يقل هكذا؟

وفي الأخير تلاحِظ أن الدِّين لم يُقدَّم على أساس أنه فقط فيما إذا فهمتَ شخصياً كل أبعاده لأن هناك قضايا

لا يفهم أبعادها حتى ولا النبي نفسه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلاّ من خلال مسيرته، لا يمكن للإنسان أن يحيط، لكن هناك قضايا أساسية ثوابت: هي أن تطيعه، أليست قضية الطاعة معروفة يعرفها الذكي والغبي، يعرفها الإنسان الذي ذهنه متفتح أكثر والإنسان البسيط؟ أن معنى اتبعوه، أطيعوه: لا تخالفوه، هو قال: ((علي)) أليست قضية معروفة؟ إذاً حصل لديهم حالة من البساطة ولم يحصل اهتمام بالقضية من البداية، أي: في التعامل مع النبي نفسه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في ماذا؟ في إعطاء أهمية لِمَا يأتي من عنده، كانوا ضحية للتضليل، التضليل قدِّم بطريقة أخرى جعلهم يرتكبون مخالفة هم يعرفون بأنها مخالفة، أي: لا أحد سيقول بأنهم وهم اختاروا غير علي أو بايعوا لغير علي أنهم لم يخالفوا ما قاله الرسول بالنسبة لعلي، لكن في الأخير يُقدَّم بأنه ليس مخالفة في المقصد وفي الهدف العام وفي الغاية التي يريدها النبي! في الأخير يأتي هكذا.

عندما يأمر الناس بالالتزام ألاَّ يخالفوه معناه: أن القضية لا تخضع لتصنيفاتهم الداخلية على أساس أنهم (نحن قدَّمنا هذا لكن سنلتقي معه في الهدف وهذا هو هدفه) لأن هذا الباب باب خطير لا تدري في الأخير إلاّ وقد أصبحتَ تُقدِّم بدائل، يكون هناك قائمة: بدائل، بدائل، بدائل، وعلى أساس أنها نفس الشيء، وتحقق نفس الغرض، وتحقق نفس الهدف! لَمَا كان هناك حاجة إلى دين ولا إلى توجيهات حديَّة بهذا الشكل لو أن هذا الباب مسموح أن يُفتح والتصنيفات داخلهُ على أساس أنها تحقق نفس الغرض، نفس الهدف، نفس الشيء، وأيضاً هي لا تكون حقيقية.

وفعلاً قد يكون فيهم أشخاص لا يعرفون أبعاد المسألة، لكن قل حتى الإمام علي نفسه أو حتى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يكون هناك أشياء يُؤمَر بها ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(هود:١١٢) لا يعطى - مثلاً - شروحاً بما يمكن أن تؤدي إليه المسألة إلى آخر شيء، لكن قد أصبح يعرف أنها أشياء هامة كلها وأشياء لها أهمية، أشياء يجب الالتزام بها، وفي المسيرة أحياناً تظهر من خلال مسيرته أهمية ذلك الشيء.

لو تلاحِظ أنه ظهر الآن بعض من أهمية بعض الآيات التي نزلت قبل ألف وأربعمائة سنة أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن التأكيدات التي جاءت في ذلك الزمن البعيد توحي بأن هذا قد يكون ثغرة إذا لم يهتموا بها ويلتزموا بها، أنها ستكون فيها ثغرة تُعتبَر ماذا؟ مادة إعلامية للعدو يشتغل بها ضد الدِّين وتشويهه، مثلما حصل في موضوع الطلاق الذي تحدثنا عنه قبل البارحة، ومثلاً موضوع التعاون - كما قلنا أكثر من مرة - كيف حث على التعاون وجعله صفة من صفات المتقين، وإذا بك ترى فعلاً بأنه من الخلل الكبير الذي قد يجعل الناس ضحية بأن يُفرَض عليهم ثقافة الآخرين عندما ضاع التعاون فيما بينهم لو كان هناك تعاون فيما بينهم لاستطاعوا أن يبنوا لهم مدارس ومدرسين وكليات وجامعات ويعملون لهم كل شيء ولا يحتاجون إلى أن يكونوا مرتبطين بمؤسسة مُعيَّنة تأتي الإملاءات الأمريكية من داخلها.

لو كان هناك روح تعاون لاستطاع المسلمون أن يعملوا لهم مدارس خاصة ومعلمين منهم، ولم تكن المناهج بهذا الشكل، في الأخير ترى أن الإهمال في تجسيد موضوع التعاون يؤدي في الأخير إلى ماذا؟ إلى ثغرة كبيرة على الأمة في دينها، وهكذا، أي: بعضها الآن ولهذا قال الله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(فصلت:٥٣) الله أعلم أين يوجد آيات سيكشفها زمنٌ من بعدنا، يكشف أهمية توجيه مُعيَّن فيها.

فلأن الدِّين على هذا النحو يكون هناك قضايا أساسية: أن تفهم أن الأمور هامة جداً مهما بدت عندك بسيطة، لاحِظ داخل الطلاق كم تحدث يضع منهجية مُعيَّنة للطلاق بحيث أنه يتم في أجواء طبيعية ومعروف متبادل إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ألم يأتِ داخلها تأكيدات كثيرة نهاهم فيها ألاّ يتخذوا آيات الله هزؤاً لا يكون هناك تهاون بهذه التوجيهات؟ لو حصل التزام بهذا الشكل وقدِّم الطلاق من خلال القرآن ورؤية القرآن لَمَا كان في الموضوع ثغرة على الإسلام يستغلها الأعداء.

قُدِّم الطلاق من خلال عبارات الفقهاء في معظمها وكأنه عملية نفي، عملية طرد للمرأة هناك، لا معروف ولا إحسان ولا متعة ولا يتم في أجواء طبيعية، يَغضب الزوج ويطلقها وتذهب من بيته وأيضاً يأخذ ما قد أعطاها، وأشياء من هذه، ظهر في الأخير وكأنه ماذا؟ هذه المرأة ليس لديها حق كهذا الحق الذي عند الرجل! لو قُدِّم على الأساس القرآني لكان أشبه شيء بعملية البيع والشراء تماماً، أنت عندما تأخذ مالاً لأحد بدون وجه حق ألا يقال بأنها قضية منكرة؟ لكن عندما يتم في أجواء عن طيب نفس يُعتبَر طبيعياً مع أن عقد البيع يأتي من طرف واحد، أليس عقد البيع يأتي من طرف واحد؟ الخروج للقضية من ملكية إلى ملكية أخرى، أليست تتم

عن طريق شخص واحد هو أعطى هذا؟ أي: يتم في أجواء جعلته طبيعية، فعندما لم يجعلوا الطلاق على هذا النحو ظهر فيه صورة غير لائقة استغلها الآخرون.

ولهذا نحن نقول: إنه يبدو أن الشيء الأساسي أن القرآن كان هو المطلوب أن يكون هو وحده الكتاب الذي يتحرك في الأرض في كل المجالات ترغيباً وترهيباً وفقهاً وكل شيء، هو كتاب يسع الحياة كلها؛ ولأنه هو عباراته بعيدة عن أيِّ مدخل لأنه ﴿أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(الفرقان:٦) قضية هامة، عندما يقول إنه للناس تجد أن القضية ملحوظة أنه ممكن أن يكون فعلاً للناس عندما يمشي هو في مقدمة المسلمين، أمَّا أن يأتوا ليقدِّموا أشياء من عندهم ترى في الأخير كم يجمع الأعداء من داخل تراث المسلمين الآخر كتب عباراتها غير لائقة في معظمها! كم يقدِّمون من شبه على الإسلام نفسه يشتغلون بها ضد المسلمين!

هذه الآية جاءت قاطعة في البداية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(آل عمران:٨٥) بعدما تكلم عمَّا تعنيه كلمة (إسلام) التسليم عندما قال هناك: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٨٤) أليس عندما قال: ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ هو مسلم من قبل أن يقول هذه العبارة، بمعنى هذه الهوية؟ مسلمون له: خاضعون له، وهكذا من بداية الآية؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ إن هذه الظاهرة قد تحصل داخل محيط ودائرة الدِّين نفسه، أي: أن يكون هناك مظاهر تسمى ديناً هي متنافية مع التسليم لله ﴿كَيفَ يَهْدِي اللَّهُ قَومًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَومَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم...﴾(آل عمران:٨٦، ٨٧) إلى آخر الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَن تُقْبَلَ تَوبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾(آل عمران:٩٠) لاحظ هنا ثم ازدادوا كفراً عندما يقول: كفروا، كلمة (كفر) يجب أن نفهمها في مجالات كثيرة تعني: الرفض الذي يتنافى مع التسليم لله، أليست هذه قضية؟ لم تُقدَّم الآية ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ وكأن أناساً كفروا بعد إيمانهم ولا يزال بالإمكان أن تُقبَل توبتهم لو نجعل كلمة ﴿كَفَرُوا﴾ بمعنى: جحدوا بالله، أليس كذلك؟ هل هناك جاحد بالله تُقبَل توبته؟ لا يوجد ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَن تُقْبَلَ تَوبَتُهُمْ﴾.

فهي تبيِّن لك أنه شيء في داخل محيط ودائرة الدِّين أشياء تظهر متنافية مع التسليم لله هي رفض لِمَا قدَّمه الله لعباده أن يدينوا به ويسلموا به فسُمِّيَ كفراً بمعنى: رفضاً ولهذا قال: ﴿لَن تُقْبَلَ تَوبَتُهُمْ﴾ لو تسميه كفراً بالمعنى الذي قدَّم هكذا دائماً جحود بالله جحود بالله لا يوجد قضية أن يقال هناك كافر يمكن يتوب الله عليه وكافر لا يتوب الله عليه بمعنى جاحد بالله، الجاحد بالله لا توبة له نهائياً، أليس كذلك؟ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾(آل عمران:٩٠).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِن نَاصِرِينَ﴾(آل عمران: ٩١) نعوذ بالله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا مسلمين له، مهتدين بهديه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ